

روايات مصر للجيب

سلسلة روايات

29

عصر الفزع

Looloo

www.dvd4arab.com



مقدمة يجب أن نعتادها

الواقع أن هذه السلسلة تختلف .. والواقع أن من الأفضل دوماً أن تتجاهل هذه المقدمة، وأن تبحث عن الأعداد السابقة، فهي مهمة لتفهم ما حدث ويحدث، وربما لتكون فكرة عما سيحدث ..

على أية حال سأحاول في هذه المقدمة أن أمنحك الخطوط الأساسية التي قد تعينك على الفهم، وإن كنت أكرر النصيحة .. هذه ليست سلسلة روايات معتادة، بل هي ما حدث لي فعلاً، ولا يمكنك أن تبدأ قراءة قصة حياتي من المنتصف؛ لتتذمر بعد ذلك لأن هناك بعض التفاصيل غير الواضحة، أو أنك تشعر بأنك غير مندمج مع الأحداث ..

كان اسمي (سامي محمود)، وكنت ضابط شرطة في القاهرة أحياء حياة معتادة روتينية، حتى قمت بزيارة صديقي الطبيب النفسي (مجدى)، ومعى صديقنا المشترك (على)، ليعرض (مجدى) أن يجرب علينا تجربة تنويم مغناطيسي ما .. لم أفهم الغرض منها حينها .. المهم أنني وافقت وحين استيقظت كانت حياتي قد انقلبت رأساً على عقب ..

وجدت نفسي قاتلاً ومحتجز رهائن في قسم الشرطة الذي أعمل فيه، وقد مرّ أسبوع على قيامي بتجربة (مجدى) اللعينة هذه !!

تتوالى الأحداث بسرعة بعد هذا، وأبدأ في الهروب من الشرطة - زملائي في الواقع - وأتعرّف على (مايا) إحدى ضحايا تجربة (مجدى)؛ لنبدأ رحلة البحث المشترك عن (مجدى) والتي تنتهي بعدة مأس ومفاجآت ..

(مجدى) أسس منظمة عجيبة اسمها (منظمة الفوضى) تهدف لتدمير الأنظمة في كل مكان في العالم، وتلقى (مايا) مصرعها في تلك المواجهة المؤسفة بيننا وبين (مجدى)، وينتهي الأمر بهروبها منّا إلى فرنسا، وقد دُمرت حياتي - إذ إنني قتلت واحتجزت رهائن حقاً تحت تأثير تجربة (مجدى) - ولم يعد يمكنني أن أعود إلى حياتي الطبيعية، ك (سامي محمود)؛ لذا يقدم لي السادة في وزارة الداخلية عرضاً لا يمكن رفضه ..

هوية جديدة وعمل جديد .. كمنسول أمني في سفارة مصر في فرنسا ..

نعم يريدونني أن أبحث لهم عن (مجدى) ..

وهذا ما حدث بالفعل، لكنه هو من ظهر لى هناك فى فرنسا، حيث قابلت رجل المخابرات الفرنسى السابق (فرانسوا) والذى كان يموك مشروع (مجدى) فى مرحلته الأولى، والذى ساعدنى قدر استطاعته حتى استطعت الوصول إلى (مجدى)، ولكن بعد أن أذاق فرنسا كلها يوماً لن تنساه ..

وكانت المواجهة بينى وبين (مجدى) حاسمة هذه المرة، وانتهت بموته فى انفجار صاخب أتى بكل رجال الشرطة فى فرنسا، ولتدمر بهذا هويتى الجديدة كمستول أمنى فى فرنسا، ولتبدأ حياتى كمجهول ..

العرض هذه المرة جاءنى من المخابرات، وكان يتلخص فى أن أعيش حياة عجيبة كمجهول لا يحمل أى هوية ولا يعرف عنه أحد أى شىء، وأن أنفذ لهم بعض مهام خاصة للغاية دون أن يشعر بى مخلوق ..

ومع السيد (أنور) رجل المخابرات العجيب الطباع، بدأت أول مهماتى كمجهول لأساعد فى هروب الشبح - قاتل محترف كان يعمل لحساب المخابرات الروسية - من فرنسا، لأعيش أحداثاً شديدة الصخب كادت تودى بحياتى للمرة الألف!

يمكننا أن نقول إن ميلاد حياتى كمجهول بدأت بعد هذا .. بعد هروب الشبح ..

ففى هذه الفترة كنت قد اتخذت قرارى بالانسحاب من هذا العالم، لأبدأ من جديد حياة أخرى بصورة طبيعية، وكنت قد أخبرتهم بالفعل عن رغبتى هذه، وظننت أنها نهاية هذا المنعطف غير التقليدى من حياتى، لكن الذى حدث هو ..

هو ما ستقرؤه عبر هذه الأوراق ..
أوراق مجهول ..

و. تاسر إبراهيم

1 - ذكريات قريبة نسبياً ..

بدأ كل شيء بالفيروس .. (باتريك) - زعيم منظمة الفوضى الجديد - هو من أعلن لنا أن هناك خمسة مصابين بفيروس ما في فرنسا، علينا التوصل إليهم وإلا انتشر هذا الفيروس في أوروبا ثم إلى العالم أجمع .. من هم؟! هذه مشكلتنا نحن لا هو!

وإذ بدأنا البحث أنا والسيد (أنور) و(بريدجيت) فتاة المخابرات الفرنسية التي انضمت إلينا مؤخراً، ظهرت أول مشكلتين ..

السيد (أنور) اضطر للإسحاب للتفرغ لمشكلة محركى الدمى التي حصلت المنظمة على قائمة بهم، وهذه كارثة في حد ذاتها ..

المشكلة الثانية، هي أنني حين ذهبت مع (بريدجيت) إلى فيلا العالم (جاك بيار) مصمم الفيروس وجدناه يموت، وبعدها هاجمنا فريق اغتيال خارق القوى مكلف بالقضاء على شخصياً ..

تتوالى الأحداث بسرعة ونكتشف أن السيد (أنور) مصاب وفي غيبوبة بعد أن تعرض لمحاولة قتل شبه ناجحة، وزعيم محركى الدمى الجنرال (فيليب) خائن ويعمل مع منظمة الفوضى، وهو الذى كاد يقضى على أنا و(بريدجيت) لولا تدخل (فرانسوا) فى اللحظة الأخيرة لينقذنا ..

لكن بارقة الأمل هذه لا تستمر طويلاً؛ إذ ينضم رجال المخابرات (أنطون) لقائمة مطاردتنا، ويتمكن (باتريك) من الوصول إلى مقر (فرانسوا) ليتخلص من الجنرال (فيليب) وهو الآن فى طريقه للتخلص من (فرانسوا) ذاته الذى نقل السيد (أنور) إلى مستشفى خاصة سرية كى لا يسقط فى أيدي رجال المنظمة، فى حين أصل أنا إلى قائمة المصابين بالفيروس أخيراً فى خزانة فى بنك فرنسا الوطنى فى اللحظة التى يصل فيها فريق الاغتيالات للتخلص منى داخل البنك ..

ولتكتمل البهجة (بريدجيت) ذاتها واحدة من الخمسة المصابين بالفيروس !!

ثم هجم رجال المنظمة علينا فى البنك ولولا ظهور الكونت (فرانسوا) المفاجئ لهلكنا يومها، لكننا بقينا لنواصل الصراع، ولتبدأ أعراض المرض فى الظهور على (بريدجيت) ..

ما أعرفه أن طرف الخيط لعلاج هذا المرض هو الجنرال (فيليب) - الخائن - وها هو (فرانسوا) يخبرنى أن (باتريك) تخلص منه، وأنه تمكن من اختطاف محركى الدمى الخمس الذين يعملون لحسابنا ..

وبعد أن استقرت (بريدجيت) في المستشفى السرية في الغرفة المجاورة للغرفة التي يرقد فيها السيد (أنور) في غيبوبته، كان (أنطون) - رجل المخابرات الفرنسية الذي تفرغ للقبض علينا - يكتشف ملاحظة مهمة في نماء رجل المنظمة الذي ألقطه (فرانسوا) أثناء تهريبنا من البنك .. إنهم يتعاطون عقار تنمية القدرات البشرية إلى الحد الأقصى، وهو عقار كان مركز الأبحاث الأمريكي التابع للمخابرات الأمريكية يعمل على تطويره، وهذا يعني أن ما تعرفه وتملكه المنظمة أبعد من قدرتهم على التخيل ..

ثم إن المنظمة وجهت لنا صفقة لا بأس بها حين أعلنت أن السفراء الأربعة - باقي المصابين بالفيروس - انتقل لهم المرض بمساعدة محركى الدمى المصريين، بل ونشرت صورهم لتسبب فضيحة سياسية لمصر في فرنسا ..

الحل .. أن نحضر علاج المرض بأى ثمن وهذا ما فعلناه ..

بعد أن ذهبنا إلى مقر المنظمة الذى عثرنا على عنوانه فى شريحة الذاكرة، وبعد أن واجهنا رجال المنظمة وبعد أن اتصرتنا - أخيراً - استطعنا الحصول على علاج الفيروس، ولكننا عرفنا أيضاً أن (باتريك) يعد لضربة كبرى ستشمل العالم كله هذه المرة ..

فرنسا .. بريطانيا .. أمريكا .. ألمانيا .. روسيا .. وفى هذا الوقت كان السيد (أنور) يقابل (أنطون) ليعلن له أن الحل الأمثل لمواجهة المنظمة هو التعاون وتبادل المعلومات، خاصة وأن المعلومات هى أقوى سلاح امتلكته المنظمة حتى الآن .. وبهذا يعرفان - تقريباً - أهم ما حصلت عليه المنظمة فى الفترة الماضية ..

العقار (898 إل بى) الأمريكى .. نظام التسليح (ألفا) الألمانى .. وشفرات التحكم بالشبكات العالمية البريطانية ..

ما الذى يمكن فعله بهذا كله ؟ الكثير .. فقط لو عرفت كيف وأين تنفذ ضربتك ..

صحيح أن (أنطون) يحاول التذاكى والقبض على السيد (أنور) لكن هذا الأخير ينجو منه وينتقل مع (بريدجيت) إلى مقر سرى آخر لـ (فرانسوا) حتى نأتى نحن بعلاج الفيروس لننقذ حياة (بريدجيت) والسفراء ..

وفجأة يظهر (باتريك) شخصياً .. بل وأمام مبنى المخابرات الفرنسية !!

يظهر لهم و يدعهم يلقون القبض عليه ؛ ليعلم لهم أنه أراد أن يحتفل بضرته القادمة معهم ، ولأنه لا يهوى المزاح تأتي ضرته ككارثة لم يشهد لها العالم مثيلاً ..

كارثة أسوأ من كل كوابيسنا ..

2- فوضى .. فوضى ..

في تمام التاسعة إلا الربع مساءً تحرك كل من (جيرمي لاندوس) و(ماتال ريتشي) إلى عمليهما الليلي ..

(جيرمي) متزوج ولديه طفلة صغيرة في الثانية بدأت منذ يومين في نطق لفظة (دادا) وهذا سبب كافٍ ليشر (جيرمي) أنه ملك متع الدنيا وما فيها .. طفله في الثانية ذات شعر ذهبي جميل ومكتنزة كلعب الأطفال ، وعيناها زرقاوان كسماء الصيف ..

قيل أن يخرج (جيرمي) إلى عمله قبلها ثم قبل زوجته ، وأكد لها أنه سيعود مبكراً في الصباح لو لم يستجد جديد .. إن وريته تبدأ في التاسعة مساءً وتنتهي في التاسعة صباحاً ، وهي تلك الفترة التي يتحول فيها من (جيرمي) الأب الحنون إلى (جيرمي) القذر ذو العصا ..

هذا اللقب له ما يبرره في الواقع ، فـ (جيرمي) يعمل كحارس في سجن (كليرفوكس) الشهير في فرنسا ، وسر شهرته أنه كان دبراً في الماضي قبل أن يتحول إلى سجن أنيق

يحوى مجموعة منتقاة من السجناء لا يجدى معهم تفاهم كما يؤمن (جيرمى) ..

حين تتعامل مع سجين فالمنطق والإقناع والنقاش لا يشكلون سوى رفاهيات لا ضرورة لها ، فى حين يمكنك أن تصل إلى ما تبغيه ببضع ضربات من عصاتك المعدنية التى لا يقل طولها عن المتر ..

نعم صحيح أن العنف يولد العنف وأن بعض السجناء كوتوا مناعة خاصة ضد ألم العصا المعدنية ، لكن حدود الجسد البشرى معروفة للجميع ..

صحيح أن أحدهم كان سيلقى حتفه أثناء محاولة (إقناعه) بالأى يكرر محاولة الهرب ، لكن مميزات العصا المعدنية تستحق التضحية ..

ولأن السجن مجتمع صغير شاعت شهرة عصا (جيرمى) بسرعة بين النزلاء ، دعك ممن رأوا آثارها ومن حملوها على أجسادهم لتبقى عليها بضعة أشهر ، ولهذا اكتسب (جيرمى) لقبه الفريد هذا بين نزلاء السجن ، لكنه كان به راضياً فهو لقب لا يدوم سوى اثنتى عشرة ساعة يومياً فحسب ، بعدها يعود إلى منزله وإلى طفله الصغيرة التى تلقبه بـ (دادا) ..

فى ذلك اليوم استلم (جيرمى) نوبته فى تمام التاسعة والربع ، ودخل غرفة الحرس ليترك ملابسه وعواطفه فى تلك الخزانة الصغيرة المعلقة ، ثم قبض بيده الخشنة على عصاته المعدنية وتحرك ليبدأ جولته فى ممرات السجن .. من مميزات وردية الليل أن السجناء يلزمون أقفاصهم المعدنية التى تدار إلكترونياً بحيث يستحيل على أى واحد منهم الخروج من قفصه إلا بإشارة خاصة من غرفة التحكم المعزولة جيداً فى الطابق العلوى ، فلا يتبقى للنزلاء سوى تبادل السياب القذر أو تبادل لفائف التبغ نصف المستعملة ، وهنا قد يساعدهم (جيرمى) شريطة أن يحصل على نصيبه المعتاد من لفائف التبغ غير المستعملة ..

فى الوقت الذى يبدأ فيه (جيرمى) جولته فى ممرات السجن ، يكون (ماتدال) قد بلغ مركز الشرطة ؛ ليبدأ عمله فى مكتب التحقيقات حيث يقضى ليلته مع لصوص ومجرمى وعاهرات فرنسا ، على أمل أن يحصل منهم على اعتراف أو أن يغلق ملف قضية من كومة القضايا التى تنتظره كذنوبه ..

على عكس (جيرمى) ف (ماتدال) غير متزوج ولكنه أب لثلاثة أطفال غير شرعيين هم نتاج علاقته السابقة، وهى علاقات لم تدم إلا لأنه لم يمكنها أن تدم، وهو المنطق الغربى الذى يستحيل علينا فهمه .. يمكنك أن تعيش مع امرأة وتتجنب منها ثم تكتشف أنكما لا تصلحان لبعضكما البعض، فتركها وترك أطفالك على وعد بالصدقة والزيارات فى المناسبات السعيدة !

لهذا يعيش (ماتدال) وحيداً مصاباً بأرق لا يعرف له سراً جعله يختار وردية الليل كوسيلة لتحمل وحدة الليالى .. ولهذا يجلس الآن أمام كومة لا تتزحزح من الملفات يدخل فى سأم ..

وفى السجن يدخل (جيرمى) لفافة تبغ حصل عليها من أحد النزلاء، وهو يسير ممرراً عصاته المعدنية على قضبان الأقفاس، لتصدر ذلك الرنين المعدنى المتقطع الذى يعلن عن وجوده ..

الآن تنقسم الشاشة إلى نصفين لئرى الاثنين .. (جيرمى) فى مر السجن و (ماتدال) على مكتبه والاثنان يدخلان .. والآن يظهر عد تنازلى فى ركن الشاشة يبدأ من 10 .. 9 .. 8 .. 7 .. 6 .. 5 .. 4 .. 3 .. 2 .. 1 ..

على يمين الشاشة حيث (جيرمى) نرى قضبان الأقفاس المعدنية ترتعش للحظة مع ذلك الأزيز المميز، ثم تفتح أتوماتيكياً الأقفاس كلها !

هنا لا يحتاج الأمر إلا لثلاث ثوان فحسب .. أدرك (جيرمى) ما حدث وتمكن من نزع لفظة (مستحيل) من حلقه .. أدرك النزلاء أنهم - بمعجزة ما - أصبحوا أحراراً، وأن (جيرمى) القنر ذو العصا أصبح فى متناول أيديهم .. ربما طريق الهرب كذلك ..

وفى ذات الوقت فى مركز الشرطة لاحظ (ماتدال) أن هناك صندوقاً غريباً فى ركن غرفته .. صندوقاً ضخماً لا يحمل أى ملصق يدل على محتواه .. صندوقاً يثير الفضول حقاً ..

وحين خرج النزلاء من أقفاصهم وهم يهللون بوحشية متجهين إلى (جيرمى) كان (ماتدال) قد قام من على مكتبه، ليقترب من الصندوق الغريب فى ركن الغرفة ..

وفى السجن كان أحدهم قد انتزع العصا المعدنية من يد (جيرمى) الذى لم يملك أدنى فرصة للدفاع عن نفسه، ليهوى بها على رأسه .. تماماً فى اللحظة التى فتح فيها (ماتدال) الصندوق الغريب ليعرف ما فيه ..

وفى اللحظة التى هوى فيها (جيرمى) وقد تهشمت جمجمته ، انفجرت القنبلة داخل الصندوق فى وجهه (ماتدال) لتطيح بمركز الشرطة كله ..

ما لن يعرفه (جيرمى) أن نزلاء السجن سيطيحون بباقي الحراس الذين لن يفهموا كيف فتحت أقفاصهم المدارة بنظام كمبيوتر لا يحوى ثغرة .. أنهم سيحاربون ليسقط عشرات الضحايا منهم قبل أن يتمكن الباقون من الهرب .. أن هذا لم يحدث فى هذا السجن فقط بل فى عشرات السجون فى فرنسا وبريطانيا وأمريكا وألمانيا وروسيا .. وأنه لن يرى ابنته ولن يسمع كلمة (دادا) بعد اليوم أبداً ..

أما (ماتدال) فقد تطايرت أشلاؤه إلى الشوارع المجاورة مع أشلاء كل من كانوا فى مركز الشرطة ، وفى ذلك الحى الهادئ فى باريس تردد دوى الانفجار طويلاً .. ثم دوى انفجار ثان .. فتألت .. فرابع .. فخامس ..

عشرات الانفجارات فى فرنسا وبريطانيا وأمريكا وألمانيا وروسيا .. ومئات الهاربين من السجون يتدفقون فى شوارع العالم فلا نجد سوى كلمة واحدة لنصف بها الموقف ..

فوضى .. فوضى .. فوضى ..

« هذا وقد قدرت الخسائر المبدئية فى فرنسا فحسب بما يربو على مليارى يورو فضلاً عن الخسائر فى الأرواح ومئات حالات الهرب المؤكدة من السجون مما دفع بقوات الجيش للتدخل لإتقانه ما يمكن إتقانه ، وبهذا تكون تلك المنظمة التى تسمى نفسها (منظمة الفوضى) قد سببت أكبر كارثة لهذا القرن على الإطلاق ، ولم يتم التوصل حتى الآن إلى الطريقة التى تم تنفيذ هذه الضربة بها ، وبهذا سيعيش العالم كله فى حالة فرع متواصلة إلى أن يتم القضاء على هذه المنظمة التى سببت كماً من الفوضى لم يشهده العالم من قبل .. وفى تصريح للسيد .. »

لكن السيد (أنور) ضغط على زر الريموت ليخرس تلك المديعة الحسنة ، وليلتفت إلينا وقد حمل وجهه ذات التعبير الذى حملته وجوهنا ..
الصدمة !

لقد فاقت ضربة المنظمة هذه المرة توقعات الجميع .. فاقت أسوأ كوابيسنا ، لكن هذا ليس كل شيء ..

« لقد استخدم شفرات التحكم البريطانية فحسب .. صحيح أنها لاتزال قيد التطوير ، لكنه طورها ليسيطر على كل سجن يدار بشبكات الكمبيوتر .. »

قالها (أنور) مفسراً ، فلم أجد ما أقوله سوى :

- هذا يعنى أنه لم يخرج كل ما فى جعبته بعد .. هناك ضربيات أخرى ..

هنا أجاب (فرانسوا) الذى كان يرتجف غضباً وهو يشاهد ما يحدث لبلاده :

- مؤكد .. ضربته هذه شملت خمس دول متفرقة وهذا مجرد إعلان آخر أنه يتطور وأنه لاتزال أمامه مراحل أخرى .. فى البداية شغلنا نحن بموضوع الفيروس هذا لينفذ هذه الضربة والآن العالم كله مشغول بما يمنحه المجال لضربة أقوى وأعظم تأثيراً ..

كان منطقته صحيحاً لدرجة أننى لم أتمالك ذلك الخوف الذى بدا فى صوتى :

- ضربة أقوى؟ ما الذى يمكنه فعله أكثر من هذا ..

ثم تنبعت إلى نقطة أهم لأردف :

- (باتريك) ذاته فى مقر المخابرات الفرنسية الآن ، ولا أحسب أنه سيتمكن من الخروج من هناك بسهولة ..

هنا قال (أنور) مصححاً :

- لا تتس أنه من سعى إلى دخول مبنى المخابرات الفرنسية ، وهذا لا يعنى سوى أنه يتبع مخططاً ما ..

أجاب (فرانسوا) :

- أيأ ما كان مخطئه ، أحسب أنهم سيسمحون له بالخروج .. سيخرجون المتسبب فى أكبر عملية إرهابية شهدها العالم كله ..

لكن (أنور) كرر :

- مازلت أعتقد أن مجرد وجوده فى هذا المبنى خطر فى حد ذاته .. لو كنت مكاتم لعملت على نقله إلى مقر أكثر أمناً ..

- على أية حال ليست هذه مشكلتنا الآن .. مشكلتنا أننا لم نعد نمسك بطرف خيط لنواصل به عملنا ..

هنا لم يجد أحدنا ما يقوله ، وساد الصمت بيننا ..

إننا بالفعل لا نملك أى خيط ليقودنا إلى أى مكان .. وهذا يعنى أنه لا يوجد أمامنا إلا انتظار باقى ضربات المنظمة .. هذا يعنى

أننا خسرنا ..

في تلك اللحظة شعرت بأغرب شيء من الممكن أن أشعر به على الإطلاق ..

شعرت بأنني أفتقد (مجدى) ! على الأقل أحتاج لوجه مألوف واحد حتى لو كان وجه عدوى !

والآن هاتنا أشعر أن لى يبدأ في كل ما حدث بصورة أو بأخرى ، ولا أملك حتى أن أساعدهم بشيء لإيقاف (باتريك) الذى لم نشعر أن وجوده الآن فى مبنى المخابرات الفرنسية قد يحد من نشاطه ولو قليلاً ..

عشرات الضحايا يطالبوننا بالقصاص وعشرات الكوارث التى حدثت ، والتي قد تحدث تصرخ لنا لكى نمنعها أو نقلل من أضرارها ، لكننا ها نحن نجلس جميعاً فى مخبأ لا نملك سوى التفكير غير المجدى والانتظار الممض ..

(فرانسوا) يدخن غليونيه .. (أنور) يحاول ألا يتركنا ليقضى وقته مع (بريدجيت) .. رجال مخابراتنا وبعض رجال (فرانسوا) يجمعون لنا كمّاً من المعلومات يكفى لاحتلال دولة ، لكنه لا يكفى لمجرد الاقتراب من منظمة الفوضى وفوق هذا كله ..

« هناك طرف خيط محتمل .. لست واثقاً من نتيجته لكننى واثق من خطورته .. »

قالها (أنور) فجأة فالتقت كل العيون عند وجهه ، ليردف موجهاً حديثه لى هذه المرة :

- أنت من ستعرض إلى هذا الخطر ..

صدمنى قوله وامتزجت الحيرة فى أعماقى مع الدهشة ، لكننى أجبرت نفسى على النطق أخيراً لأجيب :

- أنا مستعد ..

3 - لعبة لن تنتهي!

وفى هذا الوقت كان (أنطون) لا يزال يحمل ضمادة أنفه الضخمة، وهو يقف أمام مدير المخبرات الفرنسية فى مكتب هذا الأخير، يحاول تجنب اللعاب الذى يتناثر فى وجهه مع صرخات المدير:

- قابلت المصرى؟؟ وتركته يهرب؟؟ هو و(بريجيت) و(فرانسوا) وكل من معه؟؟ هل جننت؟؟ أنت بالتأكيد مجنون .. لو أرسلت ابنة أختى لما عادت إلى بهذه المصيبة ..

- سيدى الذى حدث هو ...

- الذى حدث أنى وثقت فى مجنون .. رأيت نتيجة تخاذلك أيها الأحمق؟ رأيت ما الذى أصاب فرنسا؟؟

هنا لم يحتمل (أنطون) فهوى بقبضته على سطح مكتب المدير، ليجيب:

- نحن نعرف أن المصريين يحاولون منع منظمة الفوضى التى تسببت فى هذا كله وأنا لم أتخاذل، بل إن لقاتى مع المصرى - وعلى الرغم من تمكنه من الهرب - مندى بكم هائل من المعلومات التى سنحتاج إليها فى المرحلة القادمة ..

روايات مصرية للجيب .. (سلة الروايات)

25

تراجع المدير فى مقعده، ليسأل ساخراً:

- وما الذى سيحدث فى المرحلة القادمة؟ سنترك تلك المنظمة لتحتل فرنسا؟

- لا .. لكننا كنا نعمل طيلة الوقت على محاولة الوصول لها وتوقع ضرباتها القادمة لتفاديها، لكن بعد ما حدث اليوم لم يصبح أمامنا نحن والعالم كله سوى هدف واضح صريح .. سحق هذه المنظمة سحقاً ..

وبدون أن ينتظر إذن المدير، جلس (أنطون) أمامه ليردف:

- نحن الآن نعرف إمكانياتهم .. شفرات التحكم البريطانية استغلوها فى التحكم فى السجون، لكنها لم تعد ذات قيمة الآن .. الآن هم يملكون نظام التسليح الألمانى والعقار الأمريكى الخاص بمنح قدرات خارقة لمن يتناوله بجرعات منتظمة .. وأنا قمت بمتابعة هذا العقار لأعرف كيف وصل إلى المنظمة ولن تصدق ما الذى توصلت إليه؟

- ماذا؟

- مدير مركز الأبحاث الخاص بوزارة الدفاع الأمريكى نفسه هو الذى قام بتسريب العقار للمنظمة، وهذا يعنى إما أنه ضحية

تجربتهم أو أن نفوذ المنظمة تجاوز كل توقعاتنا ، وحتى هذا لا يهم الآن .. المهم هو الكمية التي حصلت عليها المنظمة .. إنها كمية كافية لجيش صغير .. جيش سيمتلك قدرات خارقة وسيتمسح بنظام التسليح الألماني لينفذ ضربة أهم من كل ما حدث بكثير .. هذا هو ما تسعى إليه المنظمة حقاً .. كل ما حدث حتى الآن مجرد لعبة لن تنتهى ..

انتهى (أنطون) من الشرح أخيراً ، فشبك مدير المخابرات أصابعه وأخذ يفكر بعمق شعر معه (أنطون) أنه من الأفضل أن يلوذ بالصمت حتى ..

- أنت محق .. لكن هذا كله لا يجيب على سؤال عجيب ..

- ما هو هذا السؤال ؟

- (باتريك) زعيم هذه المنظمة .. إنه هنا .. لقد جاء إلينا بنفسه ..

- ماذا !!!؟

قالها (أنطون) وهو يهيب ذاهلاً :

- (باتريك) هنا ؟؟ أنا لم أعرف ..

قأطعه المدير بملل :

- لا داعى للتحمس .. لقد جاء إلينا طواعية لكننا لم نحصل منه على حرف واحد .. سأريك الآن فكاميرات المراقبة التى تنقل لنا صو ...

لكن المدير الذى كان يضغط على زر فى مكتبه وهو ينطق كلماته السابقة هذه ، لم يجد الفرصة ليكمل جملته ..

فالشاشة التى نقلت له بثاً مباشراً للغرفة التى احتجزوا فيها (باتريك) ، كانت تعلن وبوقاحة أنه لم يعد هناك !

أنه - وبكل بساطة - هرب !

هرب من مبنى المخابرات الفرنسية !!

وحين عثرنا على (لارا) وجدنا أنها ابتلعت كمية من الكحول كغيلة بأن تجعلها سريعة الاشتعال ، وكانت تضحك بلا انقطاع ونحن نشرح لها ضرورة التجربة التى ستفدها على حلاً ..

وقبل أن تتساءل عن السبب الذى يجبرنا على احتمال هذه العبقرية الفذة المسماة (لارا) سأخبرك أنا أنها الوحيدة التى

لديها فكرة محددة عما حدث داخل عقلي ، بعد تجربة (مجدى) على ، كما أنها الوحيدة التى يمكننا أن نثق فيها ثقة مطلقة ، خاصة وأنها تملك ذاكرة بعوضة لا تبقى شيئاً ..

وهكذا استغرق الأمر منّا ساعتين لنفيقها ولنذكرها بمن أنا ومن معي وما الذى حدث ويحدث ، والأهم من هذا كله بأنها (لارا) !

فى النهاية كانت تشعل لفاقة تبغ وتجلس أمامنا لتقول بوضوح وجدية :

- ما تطلبونه منى خطير وهذه ليست أول مرة أقولها .. لا أعرف ما الذى قد ينتج عن هذه التجربة ..

سألها (أنور) بموضوعية :

- ما هى أسوأ الاحتمالات ؟

- قد يفقد ذاكرته كلها .. أو ...

ونظرت إلى بإشفاق لتواصل :

- أو قد يجنّ ..

نصيحة مجانية .. حين تنظر لك (لارا) بإشفاق ، تأكد أن

الأسوأ قادم لا محالة !

ولأن (لارا) أخذها حماس الشرح قالت :

- عقله سيقاوم ويشد العود لذكريات ما حدث له طيلة الأسبوع الذى قضاه مع طبيبك المصرى (مجدى) .. ما سأحاول تجربته معه هو خلق شخص آخر تماماً داخل عقله .. شخص لا وجود له ولن يكون إلا داخل رأسه .. هذا الشخص سيعمل لدينا وسيحاول التفتيش فى عقله عن الذكريات المخبأة فى رأسه .. لكننى لا أضمن نتيجة هذا العيث فى منطقه .. ربما سيطر هذا الشخص - الذى ساكنه فى عقله - عليه .. ربما تعارض وجوده مع شخصيته الأصلية لتمحى الشخصيتان ويفقد كل ذكرياته ، لكن الأغلب أنه سيجنّ .. عقله لن يحتمل هذا كله ..

لم أملك نفسى من أن أجيب :

- أشكرك على هذا التشجيع .. لكن هل من الممكن أن تتأى علينا هذه التجربة بأى نتائج إيجابية ؟ هل سنعرف ما الذى حدث لى أخيراً ؟

- أشك .. لكن يبدو أنه لا مفر سوى هذا .. لو حصلنا على ما يخفيه
عقلك عنا ، سيكون هذا هو الخيط الوحيد الذى ستستخدمونه للوصول
إلى المنظمة ..

كان (أنور) فى حالة تردد واضحة ، على عكس (فرانسوا)
الذى كان فى حالة من الغضب مما أصاب بلاده ، جعلته على
استعداد تام ليهشم جمجمتى ليحصل على ما يبيغيه من معلومات
لو كان هذا ممكناً ، أما (بريدجيت) فكانت قد بدأت تتحسن إلى
الدرجة التى مكنتها من الجلوس معنا ، لتقول بتهاك :

- لا بد أن هناك طريقة أخرى .. لا يجب أن نخاطر به هكذا ..

قالتها فریت (أنور) على كفيها برفق ، وهو يجيب :

- للأسف لا نملك سوى هذا الحل ..

- لكنه .. لا يستحق أن يعانى ..

هنا قال (فرانسوا) بغلظة :

- ولا فرنسا ولا العالم كله يستحق ما حدث له .. أنت نفسك
كدت تلقين حتفك ، وبأبشع وسيلة ممكنة ..

لم أمنح (بريدجيت) فرصة للرد عليه ، بل قلت على الفور :

- وأنا لم أعترض .. لنقم بالتجربة وليكن ما يكون ..

هزت (لارا) كتفيها باستسلام ، ثم أشارت إلى الغرفة
الصغيرة :

- سنحتاج للهدوء والظلام .. انتظرونا حتى ننتهى ..

وهكذا تبعتها إلى الغرفة الصغيرة ، لكنها لم تنس أن تلقى
بنظرة لوم للباقيين ، قبل أن تغلق الباب علينا ..

ودون أن أنطق بحرف رقدت على الأريكة هناك وأخذت أحاول
الاسترخاء رغم كل ما حدث ويحدث .. ثم أغلقت عيني بينما
جلست (لارا) جوارى لتبدأ عبثها فى عقلى ..

عقلى الذى أصبح خيطنا الوحيد لنواجه المنظمة ، قبل أن تعم
الفوضى كل شيء ..

وفى مبنى المخابرات الفرنسية كانت حالة الذهول تميز
بحالة الذعر ، والمدير شخصياً يقف فى الممرات يصرخ فى
الرجال :

- كيف هرب ؟

لكنهم لم يملكوا إجابة .. فقط شعورهم بالذهول والخجل والعجز بعد أن فقدوا رئيس منظمة الفوضى التي أذافتهم ويلات لم يشاهدوا مثلها منذ الحرب العالمية الثانية ..

وفى الغرفة التي كان يحتجزون (باتريك) فيها كان فريق من الرجال يعكف على فحص الغرفة في محاولة يائسة لكشف طريقة هربه ، ليهتف أحدهم فجأة :

- عثرت على هذه ..

اتجهت له كل العيون فرفع يده التي حملت (ذاكرة متنقلة Flash Memory) صغير الحجم ، ليقول :

- كانت مخفية في ركن الحجرة ..

لكن المدير صاح على الفور :

- أوصلوها بأى كمبيوتر ..

قالها فأسرع إليه (أنطون) بكمبيوتر محمول ، ليوصل الأول الذاكرة المتنقلة به ، وما هى إلا لحظات حتى كان وجهه (باتريك) يملأ الكمبيوتر أمامهم وابتسامته الساخرة تتلوى مع كلماته :

- أهلا بكم .. لو كنت مكانكم لما أضعت الوقت فى التفكير فى كيفية خروجى من هنا .. صحيح أن خروجى من ميناكم كان أسهل على من الخروج من جراج مزدحم ، لكن المهم الآن هو أنتى لم أخرج خالى الوفاض .. شىء ما اختفى من ميناكم .. شىء دخلت أساساً لأحصل عليه .. ما هو هذا الشىء ؟ سأترك لكم مهمة الإجابة ..

ثم إن الصورة تموجت بشدة ، ثم بدا الكمبيوتر المحمول وكأنما أصابه الجنون قبل أن يتوقف عن العمل فجأة .. وهمس أحدهم مفسراً :

- فيروس كمبيوتر ..

لكن أحداً لم يهتم .. الكارثة الجديدة شلت قدرتهم على التفكير وعلى الدهشة ..

والسؤال لا يزال ينتظر إجابة ..

ما الذى اختفى من مبنى المخابرات الفرنسية؟؟

المشهد الأخير في هذا الفصل متوقع نوعاً ما .. ربما جزء منه على الأقل ..

لقد كان الكونت (فرانسوا) والسيد (أنور) والرجال يجلسون وقلوبهم تخفق لهفة وتوترًا في انتظار ما سيسفر عنه تنويم المغناطيسي على يد نابغتنا (لارا) ..

أى طرف خيط قد يعنى أن هناك أملاً .. أى طرف وبأى ثمن ..

في حياة هؤلاء الرجال وحين يمر وقت طويل دون أن يتلقى أحدهم معلومة من أى نوع ومن أى جهة في ظروف كهذه، فهذا يعنى الفشل كما ينبغي له أن يكون .. ما تملكه من معلومات هو الذى يضمن لك استمراريتك فى هذا العالم .. فى هذه المهمة .. وأحياناً فى هذه الحياة ..

فقط المعلومات ..

لذا - وهذه نصيحة مجانية أخرى - لا تجعل سيل المعلومات يتوقف حتى لو كان هذا قد يؤدي إلى ..

« لقد .. لقد أخطأت .. ربما .. لست واثقة، لكن هناك

كارثة! »

تقولها (لارا) بارتباك تضاعف حين حرقتهما الأعين المتسائلة، فأغلقت عينها لتردف:

- رجلكم لم يعد كما كان .. لم يعد هو .. هو ...!!!

4- مستر هايد ..

من أنتم ؟

أعرف أن السؤال الأهم هو .. أين أنا ؟ لكن جزءاً ما فى ذاكرتى يعرف أين أنا ويخبرنى أنها ليست المشكلة .. المشكلة هى .. هى .. نعم ..

من أنا !!؟

ومن هؤلاء الذين يرمقوننى باتبهار كأنى مخلوق فضائى ؟؟

مهلاً .. مهلاً .. سأستجمع أفكارى ..

أنا الآن أقف فى منزل شبه خال من الأثاث وإلى جوارى تلك البدينة التى تفوح رائحة الكحول منها ، وهى تنظر لى فى أسف كأنها مذنبه .. هى التى استيقظت لأجدها تنظر لى فى فزع ، ثم .. نعم .. هى من أسمتنى (هايد) ..

إذن أنا اسمى (هايد) !

هناك ذلك العجوز الأرسقراطى والذى يناديه الكل بـ (فرانسوا) فى حين يخبرنى عقلى أنه يستحق لقب كونت .. لماذا ؟ لا أعرف .. هناك أيضاً ذلك الرجل الذى ينظر لى قائلاً :

ألا تتذكرنى ؟

لكنى لا أجيبه بل تجيب عليه الحيرة التى ارتسمت على وجهى .. من هو ؟

تنطوع البدينة لتقول :

إنه السيد (أنور) .. حتى هذا نسيته ..

فيصيح فيها السيد (أنور) غاضباً :

ما الذى فعلته يا (لارا) ؟؟

سأشرح لكم ..

فجلس الجميع وأجلس أنا وسطهم شاعراً وكأنى قادم من غيبوبة عميقة لا أذكر قبلها شيئاً .. كأنى .. كأنى ولدت الآن فحسب ! وتبدأ البدينة (لارا) فيصغى الجميع :

كما أخبرتكم لم يكن من الممكن أن أعود بذاكرة رجلكم إلى الماضى لأعرف ما الذى حدث له فى الأسبوع الذى فقد فيه ذاكرته ؛ لذا قمت بصنع شخصية جديدة فى رأسه .. رجل آخر أسميته (هايد) ..

(هايد) ! إنه اسمى !

- ولقد قام (هايد) هذا بالتجول في ذاكرة رجلكم حتى وصل إلى ذلك الأسبوع الذي فقد فيه الذاكرة ثم عاد مرة أخرى ..

- عظيم ..

- لا .. ليس عظيمًا بالمرة .. المفترض أن (هايد) كان سيخبرني بما حدث ثم أقوم أنا بإلغائه ليستعيد رجلكم وعيه وذاكرته ، لكن ما حدث هو ...

أكمل السيد (أنور) :

- أن مستر (هايد) لم يرحل ..

- نعم .. إنه الآن من تروونه أمامكم ..

فيعود الكل للنظر إلى في فضول ، ويقول الكونت ساخرًا :

- وماذا عن الدكتور (جيكل) ؟

- تقصد رجلكم الأصلي .. إنه موجود .. لكنه .. لكنه .. نائم

الآن .. نعم لنقل إنه نائم ..

فصاح (أنور) بعصبية :

- ومتى يستيقظ ؟

أجابته (لارا) بحذر :

- حين نيام مستر (هايد) .. لا أعرف متى ولا كيف .. لكن من الممكن أن نلخص الموقف بأن رجلكم أصبح مصابًا بانفصام في الشخصية .. انفصام أنا السبب فيه ..

تقولها فيختلط الذهول على الوجود بعدم التصديق ..

أما أنا فأتساءل :

- عن تتحدثين ؟

- عنك يا عزيزي ..

- مستحيل !

- سأثبت لك .. ما الذي تتذكره قبل اليوم ؟

صدمني سؤالها ، لكنني أخذت أعتصر عقلي بحثًا عن أي شيء ..

أي شيء ..

أما الكونت فقال حاتقًا :

- هذا ما كان ينقصنا .. المنظمة تستعد لضربة أخرى والكوارث

تتوالى على فرنسا وحتى رجلكم أصبح معنوها لا فائدة منه ..

لكن السيد (أنور) قال في صبر :

- انظر لي .. اهدأ .. هل تذكر أي شيء ؟

لكنى لا .. ثم فجأة تملأ تلك الصورة رأسى كله .. صورة لقاعة ضخمة اكتظت بعشرات الأجهزة والرجال ذوى الوجوه الجامدة .. ثم تلاشت تلك الصورة لتظهر صورة أخرى ..
صورة لرجل ذى ذقن مهذبة وابتسامة مخيفة ونظرات يطل منها الجنون ..

وبلا وعى همست :

- الدكتور مجدى ..

قلتها ، فبدا الأمل على وجه السيد (أنور) :

- نعم .. (مجدى) .. هل تذكره ؟

هل أذكره ؟ نعم .. لكن .. لا ..

إن عقلى مشوش وقدرتى على استج ...

اقتحم أحدهم غرفتنا صارخاً :

- (باتريك) .. لقد هرب من مبنى المخابرات الفرنسية ..

هب الكونت والسيد (أنور) ذاهلين ، فنظرت أنا لـ (لارا) متسائلاً ، لكنها هزت رأسها بمعنى أنها لا تفهم .. أما الرجل فأكمل :

- ليس هذا فحسب .. لقد ضرب ضربة جديدة ..

وألقي بما لديه لينهار الكونت على أقرب مقعد بينما تجمد السيد (أنور) فى مكاته كأنما فقد القدرة على التحكم فى جسده ..

وعلى الرغم من أننى لا أفهم شيئاً إلا أننى أدركت ما يسعى إليه (باتريك) هذا ..

الفوضى ..

أنا لا أعرف (أنطون) هذا ، لكننى سأنتقل لك ما يفعله على أمل أنك ستفهم حتى ولو لم أفهم أنا .. كيف أعرف ما الذى يفعله (أنطون) الآن ؟ مادمت تقرأ هذه الأوراق فهذا يعنى أننى أعرف ولو بعد حين ..

المهم .. لقد كان يقف أمام التلفاز يصغى للمنبوعة الباريسية الأنيقة التى تقول :

- وبعد تفجير السفارات الذى أسفر عن مقتل كل من السفير الأمريكى و الروسى والصينى والألمانى إضافة إلى مئات القتلى والجرحى ، استمراراً لأحداث العنف والفوضى التى تشهدها

فرنسا هذه الأيام ، على يد (منظمة الفوضى) .. ومن المتوقع أن تؤدي هذه التفجيرات إلى ..

« كارثة .. »

همس بها (أنطون) ثم ابتعد ليتجه إلى المكان الوحيد الذي قد يجد فيه أملاً لوقف هذا كله ..

إلى الغرفة التي كانوا يحتجزون فيها (باتريك) ..

يجب أن يعرف كيف تمكن من الهرب .. يجب ..

والواقع أنني أتفق معه في هذه النقطة ، فنحن نتحدث عن مبنى المخابرات الفرنسية لا عن (موقف العتبة) ، والهرب من هذا المبنى يعني إما أن (باتريك) هذا ساحر أو ... (أنطون) هذا « أريد تسجيلات الغرفة منذ لحظة دخول البريطانى وحتى

خروجه منها .. »

قالها (أنطون) بلهجة أمرة إلى قائد فريق الأمن الذى انهمك رجاله فى فحص الغرفة ، فأجاب هذا الأخير :

- لكن ..

- نفذ ما أمرك به وإلا سأهشم عظامك كلها .. واطلب من

رجالك الخروج ..

- لك ...

لكن (أنطون) ضم قبضته فى غضب ، ليتراجع قائد فريق الأمن بسرعة ، وهو يصيح فى رجاله :

- كلكم .. إلى الخارج .. الآن ..

ثم التفت إلى (أنطون) :

- سأحضر لك التسجيلات حالاً ..

وهم بالخروج وراء رجاله ، لكن (أنطون) استوقفه ، قائلاً :

- كيف هرب هذا البريطانى بالضبط ؟

- لا أعرف .. لا أصدق حتى الآن أنه فعلها .. طاقم كامل من

رجالى لم يتحرك من أمام باب الغرفة وكما ترى بنفسك لا توجد نافذة أى أنه لم يخرج من الغرفة ..

سأله (أنطون) ساخراً :

- أتقصد أنه تلاشى ؟

- لا أعرف .. ما أعرفه هو أنني أتق في رجالي وكلهم أكدوا لى أن البريطانى لم يخرج من الغرفة أبداً .. كيف اختفى إذن ؟ هنا ينتهى عملى ويبدأ عملك ..

فكر (أنطون) للحظات ، ثم قال أخيراً :

- أريد تسجيلات كاميرات المراقبة خلال دقيقة على الأكثر ..

هيا ..

انطلق قائد فريق الأمن مبتعداً ، فدار (أنطون) حول نفسه فى الغرفة وهو يفكر فى عمق ..

إن كان (باتريك) لم يخرج من الغرفة من الباب .. إن كان قائد فريق الأمن محققاً تماماً فيما قاله ، فكيف فعلها (باتريك) ؟؟

ومرة أخرى وجد (أنطون) نفسه يعود إلى ذات النقطة .. إن الهرب من هنا يستلزم إما أن تكون ساحراً ..

أو ...

وفى هذا الوقت كان أحد رجال (فرانسوا) ينقل له تفاصيل المأساة التى حدثت ..

- الهجوم تم باستخدام نظام التسليح الألمانى .. ثلاثة رجال لكل سفارة والهجوم على أربع سفارات بدأ فى ذات اللحظة .. العملية كلها استغرقت سبع دقائق تحولت فيها السفارات الأربع إلى حطام مشتعل فتنظام التسليح الألمانى كما تعرف لا يبقى على شىء .. إنه ينسف أى شىء فى طريقه مهما بلغ حجمه أو قوته .. المشكلة أن حالة الفزع التى تعيشها فرنسا هذه الأيام مع كل هذه الكوارث ومع منات المجرمين الذين عادوا إلى شوارعها ، أدت إلى تأخر عمليات الإقلاذ لخمس ساعات كاملة .. أى أنه حتى لو كان هناك أدنى أمل فى إنقاذ أحد من هذه المذبحة ، فلقد ضاع مع هذه الظروف .. كما أنه أضاع فرصتنا فى تعقبهم خاصة أنهم لم يتركوا وراءهم أى دليل و ...

- كفى ..

قالها (فرانسوا) بمرارة ، ثم أشار لرجله بالانصراف .. ولدقائق لم ينطق أحدنا بحرف ، قبل أن يقول (فرانسوا) أخيراً بغضب :

- إنهم لم يهجموا على سفارتكم ..

أجابه السيد (أنور) فى دهشة :

- أهذا ما يهمك الآن ؟

- لماذا لم يهاجموكم ؟

- لأنهم يريدوننا أن نبدو كمتواطنين معهم .. يريدون أن تبدو

منظمتهم وكأنها مصرية لتتحمل نحن المسئولية ..

- لم لا ؟ مؤسس هذه المنظمة منكم ..

- لكنه أسسها بأموالك ..

لم أكن أفهم حرفاً مما يقوله، لكننى شممت رائحة التوتر

تتزايد ، فقلت :

- لا داعى لأن نفقد ..

لكن الكونت انقض على فجأة ليصق مسدسه برأسى ، صارخاً

فى ثورة :

- اخزرورس .. أنت بالذات اخرس ..

- لكننى لم أفعل شيئاً ..

قلتها فى حيرة حقيقية .. إن وجودى ذاته بدأ منذ دقائق ..

فكيف ؟

تدخل السيد (أنور) لبيعه، لكن الكونت جذب إبرة مسدسه ،
قائلاً :

- الآن .. أريد أن أعرف كل ما حدث لك الآن ..

صاحت (لارا) فى هلع :

- هذا الأسلوب لن يجدى و ..

- الآن .. أو أنسف رأسك ..

- سأرحل إذن .. لن أحتمل هذا ..

قالتها ثم أسرعت مغادرة المكان تاركة الفوهة باردة فى رأسى
وضربات قلبى تتسارع ..

إننى أعرف .. لكن ..

عاجز عن التذكر ..

وبتوتر أخرج السيد (أنور) مسدسه ليصوبه إلى (فرانسوا)

فصوب رجال هذا الأخير مسدساتهم إلى (أنور) وإلى ، وجذب

كل ذى مسدس إبرة سلاحه ..

- قلت الآن .. تذكر الآن وإلا ...

- أخفض مسدسك يا (فرانسوا) ..

فعدت نظرات الحيرة والترقب المتبادلة بين الجميع فى انتظار
أى شىء ..

ثم - ولحسن الحظ - دخل أحد الرجال علينا والهلح يطل من
خلجاته ، ليصرخ :

- رجال المنظمة .. لقد حددوا موقعنا .. إنهم يهجمون الآن !

- لو تدخلت سأقتلك أنت أيضا ..

- حاول أن تفعلها و ...

« كفى يى يى يى ! »

ارتفعت الصرخة فجأة ، فالتفتنا كلنا إلى تلك الباريسية
الحسنة التسى وقفت بإرهاق واضح على باب إحدى الغرف ،
ليقول السيد (أنور) :

- (بريدجيت) .. لماذا غادرت فراشك ؟

- ما الذى يحدث هنا ؟ هل فقد الجميع عقولهم أم أننا انتصرنا
على المنظمة و بدأنا فى محاربة بعضها البعض ..

قالتها فخفض الكونت (فرانسوا) مسدسه بتردد ومن ورائه
خفض الجميع أسلحتهم ، لأقول أنا ممتتا :

- أشكرك .. لكن .. من أنت ؟

- من أنا ؟؟

قالتها فى دهشة وكأنه يفترض بى أن أعرفها ، لكن (أنور)
أجابها :

- سأشرح لك فيما بعد ..

5- المنظمة ..

نعود إلى (أنطون) الذى قتل الغرفة التى كانوا يحتجزون فيها (باتريك) فحسبًا ، قبل أن يراجع تسجيلات كاميرات المراقبة للمرة الألف ، وشعور قاس فى أعماقه يهتف بلا انقطاع بأن هناك شيئاً ما خطأ ..

شيئاً لم ينتبه له أو شيئاً يرفض تصديقه وإن أدركه عقله بالفعل ..

فى تلك اللحظة عاد إليه قائد فريق الأمن والملل واضح عليه ،
يقول :

- هل انتهيت ؟

فتردد (أنطون) قبل أن يجيبه باقتضاب :

- نعم ..

- هل عثرت على شيء ؟

- لا ..

قالها بمرارة وهو يستعيد كل شيء فى رأسه .. ضربات المنظمة ..
ذلك المصرى الذى يحاربهم وقائده الذى كاد أن يسقط فى يده ..

(بريدجيت) التى اتضح أنها عميلة لهم .. ثم مجيء (باتريك)
وخروجه من هنا كأنه ساحر ..

أو ...

- أريد تسجيلات الغرفة الصوتية ..

قالها فبدت الدهشة على قائد فريق الأمن :

- ماذا ؟

- التسجيلات الصوتية .. إننا نسجل استجواباتنا بكاميرات المراقبة
وبميكروفونات خاصة ، أليس كذلك ؟

- نعم .. لكنها لا تحمل شيئاً لم تنقله كاميرات المراقبة و ..

قاطعها (أنطون) بنظرات حادة ، دفعته للتراجع قائلاً :

- سأتى بها على الفور ..

وأسرع خارجاً من المكان ، تاركاً (أنطون) يحاول تنظيم أفكاره
وهو يراجع تسجيلات كاميرات المراقبة للمرة الأخيرة ..

(باتريك) أمامه الآن يجلس تلك الجلسة المسترخية وابتسامته
الساخرة على شفثيه قبل أن يدخل عليه المدير ليحاول التحدث معه ،
لكن (باتريك) لم يجبه بحرف ، بل أخذ ينظر إليه فى استمتاع ،

قبل أن يتركه المدير .. ثم وبعد هذا بساعة كاملة نظر (باتريك) فجأة إلى كاميرا المراقبة مباشرة، وهمس: *سأنتبه له فوراً*
- الآن أتلاشى ..

ثم سطع ضوء مبهر في المكان ومع تلاشيه اختفى (باتريك) تماماً ..
كانه ساحر ..

أو ...
وفجأة انتبه (أنطون) إلى شيء ما .. فجأة منحه عقله الحقيقة، فأعاد تشغيل شريط المراقبة وقرب وجهه من الشاشة تماماً، قبل أن يدرك الخدعة ..
لا .. إنها ليست خدعة ..

إنها مفاجأة قاسية ..
أقصى مما تخيل بكثير ..

وفي تلك اللحظة بدأ الهجوم ..

فجأة ومن كل الجهات اخترقت مئات الرصاصات الجدران والنوافذ فالتفتنا بأجسادنا على الأرض وأحد رجال (فرانسوا) يصرخ:

- اللغة .. أي سلاح يستخدمون؟! الرصاصات تخترق كل شيء ..

وسألت أنا في حيرة:

- هل هو نظام التسليح الألماني الذي كنتم تتحدثون عنه؟

فأجابني (فرانسوا) صارخاً:

- اخرجس وإلا سأقتلك قبل أن يفعلوها هم ..

لماذا يكرهني إلى هذا الحد؟

وصاحت (بريدجيت):

- سيقفلوننا في لحظات لو لم نتحرك ..

وهي محقة في هذه النقطة ..

لكني أشعر بطاقة عجيبة تتخلل كل خلية في جسدي وأشعر أنني مدرك تماماً لما يحدث وكأنه يعرض أمامي بالتصوير البطيء ..

إنهم خمسة رجال .. اثنان عند المدخل وثلاثة من الجهات المتبقية .. كل واحد منهم يرتدى زياً أشبه بالدروع الآلية وأسلحتهم

عبارة عن مدافع متوسطة الحجم تطلق الرصاص والذهب والقنابل الموجهة .. وواحد من الاثنين اللذين يقفان عند المدخل اسمه (مارك) وهو يفكر الآن في الانتهاء من هذا كله بسرعة ؛ ليعود إلى فتاته التي تركها على مضض ..

كيف أعرف هذا كله ؟ لا أعرف .. عقلي يعرف لكني لا أفهم ..

كأنما تلك الطاقة التي تفجرت في أعماقي تمنحني القدرة على أن أجوب عقول الجميع وأرى ما يرونه ..

ووفقاً لما أراه الآن لا توجد ثغرة في نظام التسليح الألماني يمكننا من صرع هؤلاء الرجال ، فدروعهم مضادة للرصاصات وكم الأسلحة التي يحملونها تكفي لإبادة المكان في دقائق معدودة ، تماماً كما حدث مع السفارات .. بل إن رجلاً واحداً منهم يكفي لإبادة سفارة ، فما بالك بالخمسة ؟

وهذا لا يعني إلا أنه علينا الهرب .. لكن كيف ؟

لكن (فرانسوا) أخرج جهازاً من جيبيه ، وهو يهتف :

- توقعت هذا ..

ثم ضغط على أحد أزرار الجهاز ، مردفًا :

- واستعددت له ..

وفي لحظة واحدة دوت أربعة انفجارات أطاحت بجدران المنزل ويرجال (فرانسوا) وثلاثة من رجال المنظمة ، فصرخت (بريجيت) في هلع :

- سينهار المنزل علينا ..

لكن (فرانسوا) ضغط على زر آخر في جهازه ، لتفتتح كوة في أرضية الغرفة ، فزحف إليها صائحًا :

- بسرعة .. هنا ..

فتبعناه على الفور وقد تصاعد في الأعلى دوى الرصاصات والانفجارات ، قبل أن ينهار المنزل تمامًا ، بينما وقفنا نحن ملتصقين في تلك الغرفة المظلمة أسفل الأرض ، ليقول (أنور) في غضب :

- لقد تخليت عن رجالك كلهم ..

- إما هم أو فرنسا .. إننا الأمل الوحيد لإيقاف المنظمة ..

- لكن ..

- اتبعونى فلا وقت لهذه السخافات ..

قالها وهو يشعل مصباحاً يدوياً ، رأيت على ضوئه ذلك الباب فى نهاية الغرفة التى نقف فيها ، والذى فتحه (فرانسوا) ليقودنا إلى ممر مظلم طويل ..

كأنت (بريدجيت) تمسك بذراع (أنور) بقوة ، بينما تحاشيت أنا الاقتراب من (فرانسوا) وفى الأعلى خفتت الضوضاء أخيراً ، لكن (فرانسوا) قال :

- لقد ظنوا أننا هلكنا .. وهذا فى صالحنا ..

فسأله (أنور) :

- كيف عرفوا موقعنا ؟

- لا بد أنهم تتبعوا رجالى الذين أرسلتهم لفحص السفارات ..

- والآن لم يعد لديك رجال ؟

- لا .. لم يعد هناك سوانا ..

فى تلك اللحظة شعرت أنا بهم .. برجال المنظمة .. على الفور صحت :

- إنهم هنا ..

فتوقف الكل وأخذوا ينظرون لى ذاهلين ، فى اللحظة التى تصاعد فيها صوت من نهاية الممر المظلمة ، يقول :

- إنه محق .. نحن هنا ..

ثم بدأ الهجوم ..

أقف فى تلك القاعة وجسدى كله متحفز للقتال ، وأمامى يقف سبعة من المقاتلين الأشداء ، ومن ورائى يقف الدكتور (مجدى) ممسكاً بساعة إيقاف ، ليصيح وهو يضغط زرهما :

- اهاجم .. الآن ..

فأهاجم و يهجم المقاتلون ولا أشعر إلا وكأننى أطيرو .. لكلماتى تطيح بالكل ، وركلاتى لا تصيب أحداً إلا وتفقده الوعي ، وضرباتهم تصيب جسدى فلا أشعر بأى ألم ..

إننى مقاتل خاص .. هذا ما تعلمته هنا وهذا ما أصبحته ..

ولا يستغرق منى الأمر سوى دقيقة وسبع وأربعين ثانية ، قبل أن يسقط المقاتلون السبع أرضاً فاقدى الوعي ، بينما وقفت أنا ألهث والدماء تسيل من ركن فمى ..

وبغضب هائل صرخ الدكتور (مجدى) :
 - خطأ .. خطأ .. سمحت لهم أن يصيبوك .. مرة أخرى ، وهذه
 المرة لن أسمح لك سوى بأربعين ثانية ..
 فيدخل القاعة مقاتلون جدد .. وأستعد ..
 أنا مقاتل خاص ذو قدرات لا محدودة .. هذا ما أدركه ..
 وهذا ما أتذكره الآن ..

فى لحظة واحدة وفى الممر المظلم بدأ الهجوم ..
 كان رجال المنظمة الباقين بنظام التسليح الألمانى يذكان مابقى
 من المنزل فى الأعلى ، فى حين كان هناك عشرة رجال أمامنا
 فى نهاية الممر مسلحين بالمدافع ، وبأمر واحد بسيط ..
 التخلص من الجميع ..

(فرانسوا) لا يصلح للقتال وكذلك (بريدجيت) .. أما السيد
 (أنور) فعلى الرغم من الضمادات التى تغطى جسده والتى تشى
 بإصابات قريبة ، فقد هجم على الفور وهو يجذب إبرة مسدسه ،
 فى اللحظة التى سدد فيها رجال المنظمة مدافعهم و ... و ...

وتحركت أنا ..

وفى عقلى ضغط الدكتور (مجدى) على زر ساعة الإيقاف ..
 أطلق السيد (أنور) رصاصتين أطاحت برجلين من رجال
 المنظمة ، وقبل أن تجاوبه رصاصاتهم كنت أنا وسطهم أنفذ
 الشيء الوحيد الذى أتقنه ..
 أقتلهم !

بسرعة انتزعت مدفعا من يد أحدهم وهويت به على عنقه
 لأهشمها ، ثم قفزت وأنا أطيح برجلين آخرين برصاصات مدفعى ، قبل
 أن أهوى بمدفعى وبكل قوتى على صدر آخر لأهشم ضلوعه ..
 وفى عقلى صرخ (مجدى) :

- لا تدعهم يصيبونك ..

لذا ألقيت بنفسى على الأرض حين أطلق الرجال الأربعة الباقون
 رصاصاتهم ، واستغل (أنور) الفرصة لينسف ركبة واحد منهم
 برصاصاته ، ليهوى على ساقه السليمة أمامى ، فأمسك برأسه
 ودرت بجسدى فى الهواء لأطيح برجلين من الثلاثة الواقفين وعنق
 من أمسكه يتهشم بدوى مسموع ..
 ويصرخ (مجدى) فى رأسى :

- تسع وثلاثون ثانية ..

لذا التحنيت بسرعة لاكتظاظ أحد المدافع لاقتضى على من تبقى واقفاً ،
ليعود الصمت والظلام هذا الممر .. وفي عقلى بيتسم (مجدى)
فى رضا ، ليقول :

- أحسنت ..

التفت لأجد ثلاثة أزواج من الأعين الذاهلة ترمقنى ، قبل أن
يقول (فرانسوا) :

- أخيراً أصبحت ذا فائدة .. والآن نسرع ..

يقولها ثم يقودنا إلى نهاية الممر ، حيث قادنا سلم معننى إلى
نقطة تبعد عن المنزل ، الذى تحول إلى أطلال ، وحيث وجدنا
سيارة ضخمة تنتظرنا ومعدة للانطلاق ، فالفينا بأجسادنا فيها ،
قبل أن يقودها (فرانسوا) مبتعداً ، وهو يقول :

- نجونا ..

فيجييه (أنور) ، وهو ينظر لى بحذر :

- نعم نجونا ، لكننا خسرنا كل شىء فى المقابل .. لم يتبق سوى ..

فأقاطعه أنا وقد عاد إلى جزء مجهول من رأسى :

- لقد تذكرت الآن .. أنا أعرف أين هو مقر المنظمة السرى ..
أعرف تماماً ..

وفى هذا الوقت كان (باتريك) يتلقى بعض الأخبار السيئة ..
لقد نجونا من محاولة الاغتيال وهذا قد يفسد بعضاً من مخططاته
القادمة ، كما أنه خسر ثلاثة من رجاله المسلحين بنظام التسليح
الأكمانى ..

إنه الآن فى سيارة يقودها أحد رجال المنظمة ، ينطلق إلى
مكان مجهول لنا فى الوقت الحالى ، لكنه لا يزال كما هو ..

طويل القامة بصورة غير طبيعية ، ونحيل بصورة غير
طبيعية ، وتطل من عينيه قسوة غير طبيعية ، وهذه المرة لم
يكن بيتسم ..

أنهى اتصاله ثم استرخى فى مقعده يفكر فى عمق .. إنه يريد
التخلص منأى ثمن ، فالمرحلة القادمة لا تحتمل وجودنا بأى
صورة من الصور ، وليفعل هذا فى ظل الظروف الحالية يجب أن
يلجأ إلى فكرة عبقرية مبتكرة ..

فكرة تجنبه المواجهات المباشرة فى وقت انتشرت فيه قوات الجيش الفرنحية فى طرقات فرنسا ، محاولين السيطرة على حالة الفوضى الرهية التى سببها ، وتمنعه فى ذات الوقت من تشتيت رجاله وقواه ..

فكرة تثبت أنه كان جديراً باختيار الدكتور (مجدى) ..

والواقع أن الأمر لم يستغرق من (باتريك) أكثر من دقائق عشر كان قد وجد فكرتها فيها وبلورها وبات على استعداد لتنفيذها ..

فكرة عبقرية بحق ..

وببطء عادت الابتسامة إلى ركن شفتى (باتريك) .. تلك الابتسامة التى تنبئ بكارثة قادمة لا محالة ..

6- فرصة العمر ..

كنا الآن فى السفارة المصرية ، وكان السيد (أنور) يجلس مع السفير - الذى يبدو أنه يعرفنى جيداً وإن كنت لا أنكره - بشرح له ما حدث حتى الآن ، ليقول السفير فى النهاية :

- إذن فانتصارات المنظمة تتوالى فى سرعة ، ونحن عاجزون تماماً عن التعامل معهم ..

- بالطبع لا .. لكن التطورات الأخيرة لم تكن متوقعة على الإطلاق ..

- أيعنى هذا أنك تملك طرف خيط لتتبعه ؟

سأل السفير ، فأشار إلى السيد (أنور) قائلاً :

- نعم .. إنه يعرف مقر المنظمة السرى ..

- يعرفه ولا يعرف نفسه !؟

- إنها حالة انفصام ، أرجو أن تكون مؤقتة .. لكنى أصارحك إنه الآن أكثر فائدة ..

ضابقتنى هذه الجملة وأنا أشعر بحيرة بالغة من طبيعة موقفى بينما الكل يتعامل معى كأداة لحل مشاكل لا أفهم منها شيئاً ..

كل ما أذكره الآن هو تلك الفترة التي قضيتها في مقر المنظمة السري مع الدكتور (مجدى) الذى صنع منى قاتلاً محترفاً تفوق قدراته أى حدود .. ثم لا ذاكرة على الإطلاق حتى النقطة التى عرفت فيها أننى (هايد) وأننى مع هؤلاء السادة الذين يحاربون المنظمة التى صنعتنى ..

وقال السيد (أنور) :

- (فرانسوا) الآن لم يعد بقوته بعد أن فقد كل رجاله . لكن خبرته واتصالاته لا تزالان وسيلة جيدة لفتح بعض الأبواب المغلقة ، أما (بريدجيت) فلا أظن أن حالتها ستسمح لها بالمواصلة ؛ لذا أرجو أن تعمل على إرسالها للقاهرة ..

غمغم السفير بقلق :

- لن يكون هذا سهلاً ، فهى عميلة خائنة بالنسبة للمخابرات الفرنسية ، وهم لن يسمحوا لها بالهرب ..

- لكنك تعرف حقيقتنا ولن تتركها تسقط فى أيديهم ..

- أعرف .. وأعرف علاقتك الخاصة بها ؛ لذا أعدك أنني سأفعل

ما فى وسعى ..

هنا بدا نوع من الارتياح على وجه السيد (أنور) ، وقال :

- هذا يعنى أنه علينا أن نتحرك ، فلا وقت لنضيعه ..

فسأله السفير :

- أتظن أن المنظمة ستوجه ضربة لنا ؟

لا أعتقد .. لقد خسرت حتى الآن شفرات التحكم البريطانية وجزءاً مهماً من نظام التسليح الألمانى ، وهذا لا يترك لهم سوى العقار الأمريكى الذى يمنح متعاطيه قدرات خاصة ..

- خاصة إلى أى حد ؟

- معلوماتى أنها تقتل الشعور بالألم تماماً و تزيد من القدرات الجسدية ثلاث مرات على الأقل ، وهذا يعنى أنه لو منحها إلى فرقة مدربة سيملكه تنفيذ أى عملية مهما كانت صعوبتها .. وهذا ما يعد له هو الآن دون شك ..

قالها ثم أشار لى :

- وفى هذه الحالة لن تكفى حتى قدراته للتغلب عليهم ..

مرة أخرى ضابقتنى جملته ، لكننى لم أرد .. لكنه وجّه حديثه إلى قائلاً :

- أنت مستعد ؟

فهزرت رأسى أن نعم .. فتحرك هو بنشاط ، قائلاً :

- ستقودنا إلى المقر السرى إذن .. لقد حانت لحظة الهجوم ..

وبعد خمس دقائق كنت أجلس إلى جواره فى إحدى سيارات السفارة ، والكونت (فرانسوا) فى المقعد الخلفى يحاول السيطرة على انفعالاته ..

إنها لحظة المواجهة ..

ولیکن ما يكون ..

أما (أنطون) فكان قد تجاوز مرحلة الصدمة إلى مرحلة اتخاذ القرارات ..

إنه الآن يعرف أكثر من اللازم ، وهذا يعنى فى ظل الظروف الحالية أنه مستهدف ؛ لذا فأفضل ما يفعله الآن هو أن يتعد .. أن يخفى ..

على الأقل حتى يستعد للخطوة القادمة ..

لذا حين أرسل مدير المخابرات لاستدعائه ، فوجئ بقائد فرق الأمن يجيب :

- لقد غادر منذ دقائق ..

- ماذا؟؟ كيف يغادر فى هذه الظروف!؟

- لا أعرف .. ليس من صلاحياتى أن أسأله عن تصرفاته ..

فشيك مدير المخابرات أصابعه أمام وجهه ، وصمت للحظات سيطر فيها على غضبه بالكاد ، قبل أن يسأل :

- هل عرفتم ما الذى اختفى من المبنى ؟

لقى بسؤاله ليشعر بالعار .. إرهابى يدخل مبناهم الحصين ليسرق شيئاً ما ويختفى ، ليتركهم يبحثون وراءه كمجموعة من الحمقى الفاشلين ..

وأياً كان هذا الشيء فمجرد اختفائه يعنى أنها كارثة ، فكل شيء هنا يحمل ختم (سرى للغاية) ، وتحدى (باتريك) لهم يعنى أن ما حصل عليه أسوأ من ألين كوابيسهم ..

إنه لم يكتف بنسخ أو تصوير ما حصل عليه ، بل سرقه ليتركهم يعرفون .. وبالتفكير المنطقى يعنى هذا أنه يريدهم أن يعرفوا خطوته القادمة كنوع من التحدى ، أو ليقودهم إلى فخ ..

لكن .. لا .. ليس هذا وقت الاستنتاجات .. ليعرف ما الذى اختد ...

« سيدى .. لقد عرفنا ما حصل عليه ذلك البريطانى .. »

قالها أحد رجال المخابرات وهو يقتحم الغرفة والذعر يطل من صوته وعينيه ، فهبّ المدير واقفاً على الفور ..

ثم تلقى أكبر صدمة فى حياته كلها ..

« هذا هو مقرنا السرى .. أنت لن تخبر به أحداً مهما كان السبب .. هل تفهم ؟ مهما كان السبب .. »

يقولها (مجدى) فى رأسى بصرامة لا تقبل الجدل ، لكنى اليوم قادر على تجاهله .. قادر على عصيان أوامره ..

إننى لم أعد مقاتله الخارق .. لقد أصبحت شيئاً آخر ..

شيئاً بلا هوية ولا ذاكرة ولا أمل ولا هدف ..

فقط رغبة عارمة بالانتقام من كل شخص وكل شيء .. وهذه الطاقة موجهة الآن ضد السبب فيما وصلت له .. ضد منظمة الفوضى ..

« أتعرف يا (سامى) ؟ على الرغم من أننا أصدقاء إلا أننى كنت دوماً أحسدك .. »

يقولها (مجدى) من قلب ذكرياتى ، بصوت مبحوح يحمل ألف إحساس وإحساس .. ويواصل :

« على الرغم من أننى كنت أفوقك دوماً فى كل شيء ، إلا إنك كنت .. كنت .. »

(سامى) ؟ هل اسمى هو (سامى) !؟

« إلا أنك كنت .. »

- وصلنا ..

قالها السيد (أثور) أخيراً لأعود إلى عالم الواقع ، ولأجد أمامى آخر موقع فى باريس قد يصلح كمقر سرى لمنظمة الفوضى ..

صحيح أننى من وصفت لهم الطريق ، لكن ..

من كان يظن أن المقر السرى للمنظمة سيكون فى مواجهة وزارة الداخلية الفرنسية ؟

أما السفير المصرى فكان يفكر فى الوضع كله من منظور آخر ..

كان يعيد كل الحسابات فى ذهنه وصورة لشخص ما تملأ تفكيره تماماً على نحو أعجزه عن التفكير فى أى حل آخر ..

لكنه لن يتسرع الآن باتخاذ القرار ، لأن أى ..

« أظنهم سيعودون ؟ »

قاطعت (بريدجيت) أفكاره ، وهى تجلس أمامه وشروء الدنيا يطل من وجهها كأنها كانت تحدث نفسها لا تحدّثه .. لكنه أجاب :

- لا .. سيواصلون مهمتهم حتى النهاية و ...

- لم أقصد هذا .. أقصد .. هل سيبقون على قيد الحياة ؟

- لو أنك تنتظرين منى إجابة هذا السؤال فأنت ..

قاطعته مرة أخرى بعصبية هذه المرة :

- إنهم لن يعودوا .. هذه المنظمة يقودها مجنون .. ما فعله حتى الآن وما تسبب فيه يؤكد أن القادم أسوأ ، وأن فرصة نجاة أى أحد من هذه المهمة هي .. هي ..

عجزت عن إكمال جملتها ، فهبّ السفير واقفاً ومنحها ظهره لينظر من النافذة إلى ليل باريس الحزين ..

ياااه .. ما رأته شوارعك يا باريس فى الأيام القليلة الماضية لم تر له مثيلاً ..

حتى فى الحرب العالمية الثانية كان لكل شىء سبب مفهوم وبداية واضحة ونهاية متوقعة ولو تقريباً .. أما الآن ..

ففرصة نجاة أى أحد مما هو قادم هي .. هي ..

وفى تلك الشاشة فى المبنى المواجه للسفارة ، بدت علامات التفكير على وجه السفير واضحة ، قبل أن يتحرك الرجلان الوحيدان فى المبنى من أمام شاشة المراقبة ويبدأان فى تجهيز أسلحتهما الخارقة ..

- هل أنت مستعد ؟

يقولها الأول للثانى ، الذى يجيب :

- بالطبع ..

إن نظام التسليح الألمانى هذا عبقرى ، فعلى الرغم من قوته التدميرية الهائلة ، يظل وزنه خفيفاً للدرجة الكافية للمناورة والتنفيذ والهرب قبل أن يتدخل أحد .. وهما جرياً إكاثيات هذا النظام حين نسفامع رفاقهما السفارات من قبل ..

أما الآن فالهدف الذى سيواجهه أسهل بكثير ..

وأخطر بمراحل ..

كنت أذكر شفرة الدخول السرية ، لكن السيد (أنور) بدأ عليه القلق .. وجهة نظره أن عدم تغيير الشفرة حتى الآن يعنى إما أن المسئول عنها أحمق أو أن هذا فخ .. لكننا دخلنا على أية حالة ، فلم تكن ننوى الوصول لهذه النقطة ثم نتراجع ..

المقر من الخارج يحمل اسم وشعار أحد مصانع العطور الشهيرة ، وفى الداخل ستجد كل ما يؤكد هذه الأكذوبة حتى تصل إلى ذلك السلم الذى يقود إلى القبو حيث باب القاعة الرئيسية ، وحيث شفرة الدخول التى احتفظ بها عقلى طيلة هذه الفترة ..

ثم دخلنا مقر المنظمة السرى ..

« هنا سنتلقى تدريباتك .. وهنا ستصبح واحداً منا يطيع الأوامر بلا نقاش .. »

يقولها (مجدى) فأخطو أولى خطواتى إلى الداخل .. ومن خلفى السيد (أنور) الذى عقد الذهول لساته ، والكونت (فرانسوا) الذى صاح فى انفعال :

- الوغد ..

فأمامنا وفى القاعة التى أخذت محتوياتها تماماً ، تجمع أكثر من ثلاثين مسلحاً من خيرة مجرمى فرنسا وقد اجتمعوا على هدف واحد ..

« نهايتكم أيها السادة .. »

ارتفع صوت (باتريك) بالعبرة فاتزاح بعض الرجال أمامنا ليكشفوا لنا عن شاشة صغيرة ظهر عليها وجه رئيس منظمة الفوضى ، الذى ابتسم قائلاً :

- ما ترونه أمامكم هذه المرة هو آخر تحد لكم .. مجموعة منتقاة ممن هربوا من سجون فرنسا بمساعدتى ، مسلحين من رءوسهم وحتى أخمص أقدامهم ، ويحملون كلهم هدفاً واحداً رصدت مكافأته عشرين مليون يورو .. حياتكم ..

وليزيد الطين بلة ، أردف :

- وخمسة ملايين يورو إضافية لمن يأتينى برأس الشاب ..

وفى رأسى يتوعدنى (مجدى) :

- يجب أن تعرف أن ثمن خياتتنا هو الموت .. الموت وحده ..

7- ما الذى يحدث؟!

« كيف تريدون أن يبدأ حفل الانتحار الجماعى ؟ .. »

قالها السيد (أنور) فجأة ، فالتفت له أنا والكونت (فرانسوا) ومجرمو فرنسا الهاريون ، ليفتح هو معطفه ولنرى جميعاً حزام المتفجرات الذى يرتديه حول وسطه .. وبصرامة أردف هو :

- رصاصة واحدة وسيتحول كل من فى المكان إلى أشلاء متناثرة لن تكفى ملايين الدنيا كلها لجمعها مرة أخرى ..

ودون أن أفهم ابتسم (فرانسوا) فى طمأنينة للحظة ، قبل أن يواجه كتيبة الإعدام التى أصابها التوتر والتردد ، ليقول :

- سنترجع فى هدوء ونغادر المكان ..

لكن (باتريك) فى الشاشة صاح :

- لا تدعوهم يخ ...

ثم أخرسته رصاصة سريعة من مسدس (فرانسوا) ، نسفت الشاشة ودفعت الجميع إلى تسديد مسدساتهم تجاهه فى توتر ، ليقول (أنور) :

- موقفى لن يتغير فى حالة إصابة أى شخص فينا ..

فعدا المجرمون يتبادلون النظرات فى قلق متردد .. إنهم لم يهربوا من السجن لينسفوا أنفسهم فى قاعة مغلقة ، وعشرون المليون يورو لا يمكن إنفاقهم فى الجحيم .. لكن أحدهم صاح غاضباً :

- باقى الرجال فى الخارج ..

- إنها مشكلتنا إذن .. والآن .. سنضطر لترككم أيها السادة ..

ثم بدأ (أنور) و(فرانسوا) فى التراجع ببطء حذر إلى المدخل ، وهما يشيران لى بالتراجع ، لكنى كرهت أن نصل إلى هنا دون أن نحظى بشيء ، فقال (أنور) بالعربية :

- لم يعد هناك شيء هنا يستحق ..

فهمت ما قاله لدهشتى ، بل وأجبتّه بذات اللغة :

- لكن ..

- لم يتركوا لنا سوى فخ علينا أن نهرب منه وإلا سينتهى كل شيء هنا والآن ..

فلم أعارض بل أخذت أترجع معهما إلى المدخل ، لنخرج من القاعة وأكثر من خمسين مسدساً مسددين إلى رءوسنا .. ثم وقف (أنور) عند الباب لحظة ليقول :

- سنطلق الباب خلفنا وسنقف لفترة غير محدودة لنطلق النار على

رأس أول من يحاول الخروج .. شكراً لتعاونكم أيها السادة ..

ثم تراجع هو الآخر وأغلق الباب خلفه ..

ومبتسماً قال الكونت :

- لطيفة هي خدعة حزام المتفجرات .. أنا أعرف أنه غير حقيقي ..

فأجابه (أنور) متجاهلاً دهشتي :

- لم أكن لآتي مقر المنظمة السري دون أن أستعد بخدعة أو اثنتين ..

- لكننا خسرنا طرف الخيط مرة أخرى ..

- وكسبنا حياتنا لتواصل .. هيا بنا ..

كنا نقف أسفل السلم الذي يقود إلى باب القاعة حين سمعنا صوت الارتطام المعدنى ، ليتدحرج شيء ما على درجات السلم قبل أن يستقر أسفل أقدامنا .. وفى لحظة واحدة أدرك ثلاثتنا طبيعة هذا الشيء ، ليصرخ (فرانسوا) :

- قنبلة !

قالها فتدفعنا نصعد الدرج على الفور ليدوى الانفجار من ورائنا هاتلاً رهيباً ، طارت معه أجسادنا لتسقط أخيراً فى قلب مصنع العطور الوهمى ..

ووسط باقى فريق الاغتيال الذى تجمع حولنا فى لحظات ..

والأجمل من هذا كله أننى سقطت على رأسى ، فكان آخر ما سمعته هو الرصاصات التى انطلقت من كل مكان ، قبل أن أفقد وعيى ..

وقبل أن يظلم كل شيء ..

أما سفيرنا المصرى فكان الآن يدخل غرفة (بريديجيت) فى سفارتنا المصرية ، وهو يردد :

- ياللهول .. ياللهول ..

الأمر الذى قد يعطيك فكرة عن كم التفاؤل الذى يحمله سفيرنا فى أعماقه ..

لكن المشهد أمامه لم يكن يبعث على التفاؤل تماماً .. فأمامه كانت غرفة (بريديجيت) شبه منسوفة وقد تحطمت أرضيتها ، لينظر عبرها السفير إلى الطابق الأرضى حيث تكومت جثث رجال الأمن وبعض العاملين فى السفارة ..

أما (بريديجيت) ذاتها فلم تكن هناك !

وتطوع أحد رجال الأمن الذين تبقوا على قيد الحياة بالشرح :

- الهجوم لم يستغرق سوى دقيقة واحدة .. رجلان لكنهما كانا مسلحين بأسلحة عجيبية أطاحا بكل من فى طريقهما حتى حصلنا على (بريدجيت) ، ليحملها وليخرجنا على الفور ..

وهو منخص لا يعبر عن المأساة التى حدثت .. ربما لو رأيت كم الضحايا الذين دفعوا حياتهم فى هذه (الدقيقة الواحدة) لفهمت .. ربما لو عرفت أن المنظمة كانت قادرة على استدرج (بريدجيت) إلى الخارج لتختطفها فى سهولة ، لكنها فضلت إثارة كل هذه الفوضى - كالعادة - لأدركت ما يحدث بالضبط ..

كل هذا ولا يواجهه هذه المنظمة سوى رجل مخابرات مصاب وكونت فرنسى فقد كل رجاله وشاب لا يعرف حتى من هو !
الآن على السفير اتخاذ قراره الذى سيفير كل شيء ..

الآن يغتم شاردًا وهو ينظر إلى ضحايا المذبحة التى حدثت :

- لم يعد أمامنا سواه .. يجب أن أطلب استدعاءه هنا ..

(باتريك) كان الآن يقف مع كل رجال المنظمة ، الذين حمل كل واحد منهم كمًا من الأسلحة يكفى لتنفيذ انقلاب عسكري متقن ، ومحققا يحوى سائلًا أصفر كثيف القوام ..
أين يقفون ؟ ستعرف هذا بعد قليل .. المهم الآن ما يقوله (باتريك) لرجاله :

- اليوم هو يوم حلم المنظمة يارجال .. اليوم الذى عملنا لأجله طويلاً .. كل التدريبات وكل المعاناة وكل التجهيزات وكل ما حدث ويحدث وسيحدث كان من أجل هذا اليوم .. الدكتور (مجدى) وأنا من بعده حلمنا بهذا اليوم ، وها هو حلمنا على أعتاب أن يصير واقعًا سيشهده العالم كله .. بعد دقائق سننتقل إلى الهدف ، وسيفرغ كل واحد منكم المحقق الذى يحمله فى عروقه ليحصل على قوة لم يملكها بشرى ، لكن هذا لا يعنى أن مهمتنا ستكون سهلة .. نصفنا على الأقل سيسقطون ضحايا هذا اليوم ، لكن تضحياتهم لن تضيع هباءً لو التزمتم بما سأخبركم به حرفياً .. والآن .. احققوا أنفسكم ..

فلم يتردد أحد ولو للحظة ، ثم ألقوا المحاقن الفارغة أرضًا ، فابتسم (باتريك) فى رضا ، ليقول :

- اليوم .. ننشر الفوضى ..

أما أنا فاستيقظت فجأة لأجد ذراعي تنزف في غزارة ولأجدني في سيارة يقودها (أنطون) يحاول المراوغة بها من مجموعة سيارات أخذت تطاردنا في إلحاح وركابها يطلقون علينا الرصاصات ، قد جلس السيد (أنور) جواري يحاول الرد على سيل الرصاصات المنهمر علينا عبر الزجاج الخلفي الذي لم يعد هناك ، قبل أن تنفذ رصاصات مسدسه ليلقى بجسده جواري حائقاً ..

ما الذي يحدث بالضبط !!؟

آخر ما أذكره هو أنني كنت أجلس أمام (لارا) في مقر (فرانسوا) أحاول الاسترخاء بقدر الإمكان ، قبل أن تتومنى هي مغناطيسياً ، وهأنا أستيقظ لأجد (أنطون) يصرخ :

- اللعنة .. إننا نفقد الوقود ..

فيجييه (أنور) صارخاً :

- لو توقفنا سيمزقوننا إرباً ..

- يبدو أن هذا ما سيحدث بكل أسف ..

فأسأل أنا بقمة ذهولي :

- ما الذي يحدث بالضبط ؟ أين نحن ؟

فيلتفت لى (أنور) ، و يقول بحذر :

- من أنت ؟

- أنا (سامى) .. !

- إذن فلقد عدت ..

- عدت من أين !!؟

لكن السيد (أنور) انهمك في حشو مسدسه بالرصاصات ،

وهو يقول :

- لا وقت للشرح .. لنقل إنك غبت عن الوعي و عدت إلينا ..

في تلك اللحظة اقتربت سيارات مطاردينا فجأة ، فدار (أنطون) بالسيارة في مناورة تستحق الإعجاب ، وانطلق في الاتجاه العكسي ، وهو يصيح :

- دقيقة على الأكثر وسنفقد الوقود .. سنضطر لمواجهتهم ..

فسأله السيد (أنور) على الفور :

- كم رصاصة معك ؟

- لا توجد رصاصات .. لقد نفدت أسلحتي ..

قالها فحملنى السيد (أنور) على كتفه بسرعة لتأن جراحه القديمة، وأسرع هو والكونت (فرانسوا) خلف أحد الحواجز، وأخرجا مسدساتهما ليمصا يد العون لـ (أنطون) ..

وبأعلى صوته صاح (فرانسوا) :

- إنهم يتزايدون ..

وهى ملاحظة دقيقة .. فصحيح أن عشرين رجلاً سقطوا على الأقل حتى الآن، لكن من كانوا فى القاعة خرجوا بكل غضبهم ورغبتهم فى الانتقام، ثم توافد إلى المكان كل مجرم فى المدينة عرف أن هناك مكافأة على رءوسنا ..

ومن يطلقون الرصاصات - حتى الآن - تجاوزوا تسعين رجلاً، فى مواجهة ثلاثة وأنا فاقد الوعي لأمثل عبناً إضافياً فى موقف لا يحتمل أعباء ..

نصيحة مجانية .. لا تفقد الوعي فى مثل هذه المواقف ! حاول قدر الإمكان !

فى مثل هذه المواقف يكون السؤال الحقيقى هو .. كيف نهرب من هنا ؟

إن هذا يستلزم الوصول للسيارة التى هى على بعد سبعين قاتلاً من هنا، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا ..

فيتراجع السيد (أنور) فى مقعده، ويقول فى استسلام :

- إذن .. نحن هالكون لا محالة ..

لكن ..

دعنا نعد إلى الوراء قليلاً، لنفهم الموقف أكثر ..

نعم .. إلى اللحظة التى فقدت وعيى فيها فى قلب المصنع وسط النيران المنهمرة علينا من كل صوب ..

ما إن سقطت على الأرض فاقد الوعي، حتى انطلقت عشرات الرصاصات فى المكان، لتطيح بدائرة المجرمين التى أحاطت بنا، والذين فوجئوا بهذا الهجوم المباغت، فالتفتوا إلى مصدر الرصاصات ليحييوا التحية بأفضل منها ..

وعلى الفور توارى (أنطون) - الذى لولا ظهوره المفاجئ لتحولنا إلى جثث غير واضحة المعالم - خلف أحد الحواجز المعدنية، وهو يصيح :

- تحركوا ..

8 - في قبضة العدو ..

في اللحظة التي أصدر فيها محرك سيارتنا زمجرة اعتراضه الأخيرة قبل أن يتوقف ، ارتفع دوى آلاف الرصاصات في المكان ، لتحصد مطاردينا بسياراتهم التي أخذت تنفجر واحدة تلو الأخرى ، وحاول بعضهم الاستدارة والهرب ، إلا أن الرصاصات أخذت تهوى عليهم من أعلى بلا انقطاع ، فرفعنا أعيننا إلى السماء لنجد ست طائرات هليكوبتر تابعة لوزارة الداخلية - التي تدخلت في اللحظة المناسبة تمامًا - وكلها تحمل أمراً واضحاً وصريحاً ..

اقتلوا ثم فكروا !

وفي لحظات ظهرت سيارات الشرطة والجيش ليطوق أكثر من مائتى ضابط وجندي المكان ، وليواصل مهمة إفناء مطاردينا عن بكرة أبيهم ، وهي مهمة لم تستغرق منهم أكثر من ثلاث دقائق ، توقفت بعدها الرصاصات أخيراً ، لتمتزج الأدخنة برائحة الدماء التي أغرقت المكان ، ولنجد أمامنا كتيبة كاملة تسدد أسلحتها لسيارتنا ، فخرج لهم (أنطون) على الفور وهو يشهر بطاقته ، صائحاً :

- أنا رجل مخابرات ..

فتقدم له جنرال عجوز شديد البرود ، ليقول :

- أعرف .. اسمك (أنطون) ..

- لقد وصلتم في اللحظة الأخيرة .. كدنا نهلك لولا ..

- لولا أننا نريدكم على قيد الحياة ..

تبادلت أنا والسيد (أنور) النظرات الحائرة مع هذا الرد العجيب ، قبل أن يفسر الجنرال أخيراً ببروده المستفز :

- لدينا أمر بالقبض عليكم وإحضاركم أحياء إلى مقر القيادة ..

فصاح (أنطون) ذاهلاً :

- ماذا ؟

لكن الجنرال أشار بيده في هدوء ، لينقض علينا رجاله وليكبلونا بالأغلال دون أن نجروا حتى على مقاومتهم ، إلا أن (أنطون) أخذ يردد :

- لا يحق لك القبض علىّ إننى ..

فقاطعه الجنرال :

- خائن ..

قالها فتجمد (أنطون) لحظة في مكانه ذاهلاً ، ثم انقض في ثورة على الجنرال ، مزمغاً تمزيقه ببديه العاريتين ، لكن ضربة من كعب أحد المدافع هوت على رأسه لتوقفه ولتسقطه فاقد الوعي على الفور .. أما الجنرال فنظر إلى أنا والسيد (أنور) في استمتاع ، ليقول :

- أخيراً سقطتما في قبضتنا .. ستدركان الآن مغبة العيبث معنا
أيها المصريان ..

فلم أجبه .. الموقف لم يكن يحتمل أى رد متحلق من أى نوع ..
فقط تركتم يقتادونى إلى إحدى السيارات مع السيد (أنور) ،
والجنرال المقيت يهتف من ورائنا :

- لن تريا ضوء الشمس ثانية .. أعدكما بهذا ..

وفى أقل من دقيقة كانت القافلة تتحرك بنا إلى حيث لانعرف ،
وكانت الكلمة الوحيدة التى نطق بها السيد (أنور) هى :

- خسرنا ..

وكان هذا آخر ما حدث فى هذه الليلة ..

واستيقظت (بريدجيت) فجأة ..

فى لحظة واحدة عاد إليها وعيها وذكرياتها وذلك الألم العجيب
فى راسيها وقدميها ..

آخر ما تذكره هو أنها كانت فى غرفتها ، حين نسف رجال المنظمة
المسلحان بنظام التسليح الألماني أرضية غرفتها ، لتسقط وسط
الحطام وعشرات الجثث ..

تذكر أنها حاولت الوقوف لتقاوم ، ثم تذكر تلك الصاعقة المحدودة
التي انطلقت من مدفع أحدهما لتفقد الوعي على الفور .. ثم تذكر
الأصوات ..

أصوات عجيبة بدت وكأنها جزء من أحلامها ، لكنها ومع الوقت
بدأت تنتبه إلى أن هذه الأصوات حقيقية ، وأنها تتبع من على
مسافة محدودة ، لكنها عاجزة عن رؤية مصدرها ..

الظلام يحيط بها من كل صوب ولا يمكنها أن ترى حتى المقعد
التي قيدت عليه ، بقيود معدنية قاسية عند الرسغين والقدمين ..

ومع الوقت بدأت تستوعب طبيعة الأصوات .. إنه تلفاز ..
مختطفوها الآن فى الغرفة المجاورة يشاهدون التلفاز مما يعنى
أنها فى شقة ، وأن من اختطفها لديه أمر للاحتفاظ بها على قيد
الحياة لفترة طويلة نسبياً .. وهذا خطأ عليهم أن يدفعوا ثمنه ..

لذا .. وبهدوء شديد أخذت تحرك أصابعها حتى لامست ساعة
يدها لتجذب منها سلكاً معدنياً رقيقاً اعتادت تركه هناك للطوارئ ،
ثم بدأت أصابعها تطوى السلك بمهارة فتاة قضت ثلث عمرها فى
المخابرات ..

كل ما عليها الآن أن تعمل فى صمت وسرعة لتتخلص من
قيودها ، بعدها ستبدأ محاولة الفرار و ...

« أنباء مهمة .. »

ارتفع الصوت الفرنسي من التلفاز لتتوقف ولتصغى فى انتباه :

- منذ دقائق معدودة تم القبض على جاسوسين مصريين يعتبرهما المسئولون على صلة وثيقة بمنظمة الفوضى التى تسببت فى كل ما شهدته فرنسا بل والعالم كله من كوارث حتى الآن .. ولأننا لانملك تفاصيل فسوف ..

ثم أغلق مختطفوها التلفاز ليسود الصمت التام ..

الصمت الذى امتزج مع الظلام المحيط بها مع الكارثة التى سمعتها ليعمها شعورًا عجيبيًا بالهلع ..

والعجيب أنه بعد دقائق من الصمت الثقيل ، لم تنطق (بريدجيت) سوى بكلمة واحدة :

- خسرنا ..

دعنى أخبرك ببعض الكوارث التى تعرض لها مطار (أورلى) الفرنسي الذى يقع فى جنوب باريس ..

المطار تم بناؤه عام 1932 كملحق صغير لمطار (لى بروجيه) ، وظل كذلك حتى قصفه سلاح الطيران الأمريكى فى الحرب العالمية الثانية لينسفه تمامًا ، فلم تتبق منه سوى أنقاض محترقة ، حتى أعادوا بناءه بعد معركة نورماندى الشهيرة عام 1944 ، ليظل تابعًا

لسلاح الطيران الأمريكى حتى عام 1947 ليستعيده الفرنسيون ، وليبدعوا فى تحويله تدريجيًا من مطار عسكري إلى مطار مدنى ..

وفى الثالث من يونيو عام 1963 ، تحطمت طائرة ركاب مدنية أثناء إقلاعها من المطار ، وكادت تحمل 132 راكبًا ، لم ينج منهم سوى اثنين ، خرجا من بقايا الطائرة بإصابات طفيفة !

وفى الثالث من أكتوبر عام 1974 سقطت طائرة ركاب تركية كانت متجهة إلى لندن ، بعد إقلاعها من المطار فى غابة (إرمونفيل) المجاورة ليلبلغ عدد الضحايا هذه المرة 346 ضحية لم ينج منهم أحد ..

وفى الثالث عشر من يناير عام 1975 حاولت جماعة إرهابية يقودها الإرهابى الشهير (كارلوس) - الذى كان يلقب بابلن آوى - نسف إحدى الطائرات فى المطار ، دون أن ينجحوا فى هذا .. كرروا محاولتهم مرة أخرى فى السابع عشر من ذات الشهر ، وفشلوا مرة أخرى ..

وفى الخامس عشر من يوليو 1985 قامت جماعة أمريكية سرية - الجماعة الأمريكية السرية المسلحة لتحرير أرمينيا ASALA - بتفجير مكتب استقبال تركى فى المطار ، ليسقط ثمانية من القتلى وأكثر من خمسين مصابًا ..

واليوم .. يستعد مطار (أورلى) لاستقبال كارثة جديدة أكبر وأخطر من كل ما سبق ..

فقط انظر معي إلى هذا الرجل الذي يرتدى زي مهندسى الصيانة
حاملًا حقيبة متوسطة الحجم ، ومنتجها إلى سلم إحدى الطائرات
التي تخضع لفحص ما قبل الانطلاق الأخير ..

إن شفرة التحكم البريطانية واسعة الاستخدام حقًا ، حتى
ولو تكشف أمرها فما زال هناك بعض الثغرات التي لم ينتبه إليها أحد ..

تخيل مثلًا ما الذي يمكن أن تفعله هذه الشفرة مع برنامج القائد
الآلى (Autopilot) الذى يتحكم فى الطائرات تمامًا بعد أن تصل
إلى الارتفاع الأقصى ، وحتى تقترب مرحلة الهبوط ..

تخيل ماذا لو أضفنا إليه تعديلًا بسيطًا يمنع العودة إلى التحكم
اليدوى بعد أن يبدأ هو فى العمل ..

والأجمل من هذا كله .. تخيل لو أضفنا إليه خاصية التحكم
عن بعد !

الآن ما عليك سوى أن تطلق لخيالك العنان ..

وأن تتوقع الأسوأ ..

وفى الساعات التى قضيناها فى تلك الزنزانة الضيقة ، حكى لى
السيد (أنور) عن تجربة (لارا) وعن شخصيتى الثنائية كمستر
(هايد) وعن مصرع (فرانسوا) ، فشعرت بمرارة لا حد لها ..

والعجيب أننى لم أشعر بها لأنى سجين بتهمة التجسس والتورط
مع منظمة إرهابية ، ولا حتى لأننا خسرنا معركتنا مع المنظمة ،
بل كنت أشعر بالمرارة مما يحدث لى ..

أنا (سامى) .. ولدت بهذا الاسم وعشت به ..
كبرت ودرست والتحققت بالشرطة وتزوجت وعانيت وحلمت
وأخطأت وندمت باسمى هذا .. ثم أتى - عليه ألف لعنة - (مجدى)
ليغير لى كل هذا بتجربة تنويم مغناطيسى واحدة ..

تجربة أصبحت بعدها (أكرم) .. ثم تحولت إلى مجهول .. ثم
إلى مستر (هايد) ، ثم هانا الآن لا هوية لى ولا لقب ولا ذاكرة
مكتملة ..

فقط أخوض صراعًا لا ينتهى مع منظمة الفوضى وكأن حياتى
كلها أصبحت لا تحمل هدفًا سواها ، وأنا لا أعرف كيف سينتهى
هذا الصراع وما سيحدث لى من بعده .. هذا إن بقيت حيًّا !

- لقد تورط معهم المدير .. مدير المخابرات الفرنسية أصبح
يعمل مع المنظمة ..

قالها (أنطون) بسخرية حزينة ، ثم تابع :

- شعرت بهذا حين رأيت تسجيل كاميرات المراقبة .. الشريط
كان مزيفًا .. أحدهم عبث بمحتوياته بالكمبيوتر ، لكنهم أخطئوا

9 - الضربة النووية ..

« إذن فأنت واثق أن ضربتهم القادمة ستكون هنا .. »

قالها وزير الدفاع الفرنسي ، لمدير المخابرات الذى أجاب فى اقتضاب :

- نعم .. واثق ..

- ومن أين أتت هذه الثقة ؟

وهو سؤال من المستحيل الرد عليه بأمانة .. هل سيخبره أن زعيم منظمة الفوضى جاء إلى المقر وهرب ؟ هل سيخبره أنه جنده مرغماً للعمل لحسابهم وإلا قتلوا ابنه الوحيد ؟

تلك أسئلة لا يستحب الرد عليها بأمانة ، لكن ..

- الخبراء هم من قدروا هذا .. قالوا إن ضربته القادمة يجب أن تفوق كل ما سبقها ويجب أن تسبب أكبر قدر ممكن من الدمار والفوضى ، ونحن نملك أربعة وخمسين مفاعلاً نووياً كما تعرف .. أى أن الإغراء سيكون أصعب من أن يقاوم ..

هكذا أجاب المدير ، فبادره وزير الدفاع :

- ولماذا هذا المفاعل بالذات ؟

- لأنه الأقرب إلى باريس .. حتى الآن ضرباته تشير إلى أن مقر قيادته هناك .. وهو لا يحب الابتعاد كثيراً عن مخبئه ..

هز الوزير رأسه متفهماً هذه المرة ، ثم عاد الصمت والترقب يغلفهما ..

لنأمل أن الخبراء يجيدون عملهم ، فأى خطأ هذه المرة سيغنى كارثة نووية لم يشهد لها العالم مثيلاً ..

أما المدير فكان يستعيد فى ذهنه لقاءه بـ (باتريك) فى مبنى المخابرات .. كان قد ذهب إليه ليستجوبه حين ..

- اينك معنا .. أمامك خيار من اثنين .. إما أن تساعدنى على الخروج من هنا أو ...

هكذا بادره (باتريك) لحظة دخوله ، فألجمت المفاجأة لسانه ، ونظر إلى كاميرا المراقبة فى الغرفة ، ليقول (باتريك) وهو يمد يده بصورة ابن المدير :

- لا تقلق .. لدى نسخة معلة لتسجيلات كاميرا المراقبة والتسجيلات الصوتية ، كل ما يجب أن يقلقك الآن هو كيف ستخرجنى من هنا ..

- لماذا جئت أصلاً مادمت تريد الخروج على الفور ؟

- لأننى لن أرحل خالى الوفاض ..

بدت الصدمة على وجه المدير ، وصاح :

- أظن أنه لمجرد أنك اختطفت ابني أنتى سوف ..

- سوف تطيعنى بلا مناقشة وإلا أقسم أنك ستقضى ما بقى من عمرك فى جمع أشلائه من أرجاء فرنسا كلها .. ثم إن هذا ليس كل شيء .. 76876967 ت . س .. أليس هذا رقم خزانتك السرية ؟ ألا تحتوى هذه الخزانة على وثائق يكفى مجرد وجودها إلى إعدامك و ...

فقاطعه المدير هذه المرة بذهول لاحت له :

- كيف ؟ كيف تعرفون ؟

فاتسعت ابتسامته (باتريك) ، وهو يجيب :

- المعلومات يا مدير المخابرات .. المعلومات هى أقوى سلاح فى هذا العصر .. فقط حين تعرف كيف تستغلها ومتى .. والآن دعك من هذا وأصغ لى جيداً ..

وأصغى المدير ..

أصغى ونفذ وهرب (باتريك) ومعه نسخة من ملفات خطط تأمين المفاعلات النووية الفرنسية ، مع شرح لخطط الطوارئ التى تنفذ فى حالة قيام هجوم على أحد المفاعلات ..

وهذا أغرب تصرف رآه المدير فى حياته !

لقد أعلن لهم عن ضربته القادمة بتحد سافر سيخفض من فرص نجاحه إلى الحد الأدنى .. بل ولفت الأنظار بصورة لم ير لها مثيل من قبل .. وهى طريقة تتم على غباء شديد .. أو عبقرية أشد ..

صحيح أن الخبراء أكدوا أنه يتحرك بطريقة فوضوية تليق بمنظمته ، لكنهم أكدوا أن ما فعله هو نوع من استعراض القوة التى يسعى لها طيلة الوقت ، وأن إغراء نفس مفاعل نووى سيفوق قدرته على التحمل .. خاصة لو كان قرب باريس ..

و ها هو الآن مع وزير الدفاع عاجز عن شرح الموقف له كاملاً ، فقط يحمل تأكيداً بأن هناك هجوماً وشيكاً على المفاعل ، وطلباً بعدم الالتزام بكل خطط الأمن والطوارئ الموضوعية مسبقاً لأنها لن تصلح .. لماذا ؟

تلك أسئلة لا يستحب الرد عليها بأمانة !

- متى سيبدأ الهجوم ؟ ألم يتوقع خبراؤك الوقت ، ولو تقريبياً ؟

سأل الوزير فأجاب :

- فى ساعات الصباح الباكر ..

- إنها الثامنة والنصف صباحاً الآن ، فما الذى ينتظره ؟ أخشى أن نكون قد أخطأنا فى تحديد هدفه ..

لا أحد هناك ..

أمامها الشقة خالية لا يوجد فيها أحد ولا يصدر منها أى صوت ..
حتى التلفاز مغلق وفي المطفأة أمامه بقايا لفائف تبغ مضى
عليها زمن طويل ، لكن كيف ؟؟

كيف يتركها محتجزوها هكذا ؟!

ما الذى حدث و تطلب منهم تركها هكذا وفي الساعات الأولى
من الصباح ؟؟

أو إنه فخ ؟!

لكن باب الشقة أمامها على بعد قفزتين ، ومنه ستخرج إلى الشارع
حيث لن يوقفها أحد حتى تعود إلى السفارة ، وكل ما يتطلبه الأمر
منها هو بعض الشجاعة و ...

أدارت عينها في المكان بحثاً عن أى شيء يصلح كسلاح
- ولو مؤقتاً - فلم تجد .. إنها لن تحمل التلفاز بالطبع وتهرب
لتهوى به على رأس أول من يهاجمها ! دك من أن حالتها الجسدية
لن تسعفها في أى مواجهة مباشرة ..

لكنهم قبضوا على السيد (أنور) ، وهذا يعنى بالنسبة لها كل
شيء .. هذا يعنى أنها ستمنحهم حياتها راضية ، فقط لو ضمنت
حياته هو .. لذا فلا بأس لو ...

انفتح الباب فجأة ليظهر على عتبة أحد رجال المنظمة ، لينظر
إليها فى هدوء قائلاً :

- تأخرنا عليك يا صغيرتى .. سامحينا ، لكننا كنا نحضر رفاك ..

تجمدت (بريدجيت) فى مكاتها ، وهى تنتظر لتعرف من هم رفاقها
الذين يتحدث عنهم ، فاقزاح رجل المنظمة جاتياً ، ليدخل خمسة رجال
مكمنين ومقيدين بإحكام ، قدمهم رجل المنظمة قائلاً :

- اسمحى لى أن أقدم لك محركى الدمى ..

ثم دخل ثلاثة رجال مسلحين بدا عليهم التوتر حين وجدوا
(بريدجيت) وقد تحررت من قيودها ، لكن الرجل الأول أشار لهم
مبتسماً ، وقال :

- لا بأس .. لا بأس .. لقد انتفت الحاجة لهم ولم يعد بقاؤهم
على قيد الحياة ضرورياً ..

على الرغم منها شعرت (بريدجيت) بالخوف ، و تراجعت إلى
الوراء لا شعورياً ، ليواصل رجل المنظمة باستمتاع تام :

- فقط لنقتل الفتاة فى النهاية .. سنحاول الاستمتاع بها أولاً ..

وهنا لم يعد أمامها خيار آخر ..

حالتها الجسدية لا تحتمل أى مواجهة .. حالتها النفسية فى الحضيض بعد أن قبضوا على السيد (أنور) .. خصومها الآن أربعة مسلحين بالمدافع .. كل هذا لن يغنيها عن حقيقة واحدة لا مناص منها ..

أنها يجب أن تهاجمهم .. والآن ..

ومهما كانت النتائج ..

وكان (باتريك) الآن يجلس مع ضيوفه يشرح لهم باستمئاع عجيب ، كيف نجح فى الوصول لهم وأسره على هذا النحو :

- الموضوع كان أسهل من المتوقع .. تشتيت انتباهكم بضريات متتالية وإثارة أكبر قدر ممكن من الفوضى ، ثم تركيز أغلب قواكم فى تأمين المفاعلات النووية ، لآتى أنا ورجالى إلى هنا .. ثم إنه أخذ يجول فى المكان بخطوات ونيذة ، مردفاً :

- بالطبع يأتى سؤال كيف عرفت مكان اجتماعكم السرى وهذا هو سر قوتنا ونجاحنا حتى الآن .. المعلومات .. التفاصيل الصغيرة التى لو جمعت بطريقة معينة لصنعت صورة كاملة شديدة الأهمية والخطورة .. كلجة البازل الشهيرة .. عشرات القطع الصغيرة التى تتجمع لتكون لوحة ما أو كما فى هذه الحالة ، تكشف سرّاً ما ..

ثم نظر لأسيريه ، وابتسم قائلاً :

- لكنى لن أقتلكم .. لست هنا لهذا السبب .. ثم إن فكرة قتل الرئيس الفرنسى ورئيس الوزراء الإسرائيلى غير مستحبة فى هذه الفترة ..

ومن حوله أخذ رجاله يتحركون بسرعة وتنظيم ليعملوا على تأمين المكان تماماً ، بينما جلس (باتريك) ووضع ساقاً على ساق ، أمام الرئيس الفرنسى ورئيس الوزراء الإسرائيلى المقيدين بإحكام فى مقاعدهما ، ليقول :

- اجتماعكما السرى كل عام فى هذا القصر على أطراف (باريس) لتبادل أحدث ما وصلتكم إليه فى التسليح النووى لم يعد سرّاً .. فقط كان علينا أن نعرف أين تلتقون وماهى نظم الأمن التى تتبعونها لتأمين هذه الاجتماعات .. صحيح أننى خسرت نصف رجالى للتخلص من رجالكم وللسيطرة على القصر إلا أن الأمر يستحق ، فضلاً على أن أحداً لن يجروا على اقتحام المكان لتحريركما خوفاً من أى خطأ قد يودى بحيات أحدكما ، إلا أننى حصلت أيضاً على ما جئت أصلاً للحصول عليه ..

وأشار إلى حقيبة متوسطة الحجم استقرت على الطاولة أمامه ، قائلاً :

- فى هذه الحقيقة أحدث ما توصل إليه خبراؤكم فى مجال التسليح النووى ، بدءاً من القنابل النووية صغيرة الحجم محدودة التأثير وحتى الأسلحة النووية المحمولة .. والآن يأتى السؤال الحقيقى ..

ثم التقط منشفة ورقية ليحفظ بها عرق الرئيس الفرنسى الذى سأل على جبهته ، قبل أن يردف :

- ماذا لو نشرت هذه التفاصيل إلى العالم كله ؟ ماذا لو أصبحت فى متناول كل من سيحسن ويسئء استخدامها ؟ ماذا لو أصبحت متوافرة على شبكة الإنترنت لأى مستخدم لأى كمبيوتر فى أى مكان فى العالم ؟ هل تعرفون ما الذى سينتج؟؟

وهبَ واقفاً فجأة ليصيح فى انتصار :

- فوضى .. أكبر فوضى سيشهدها العالم .. ومهما حاولتم لتسيطروا على الأمر لن تغلقوا فلا شئء يصل إلى الإنترنت ويموت .. بل إنه يبقى وينتشر إلى أبعد من قدرتكم على التخيل .. ثم ستدور العجلة بعد ذلك .. سيأتى من يحاول التنفيذ ، ثم سيأتى من يبيع الأسلحة ليأتى دور من سيجربها .. وحينها سيختل التوازن النووى ..

وشرد ببصره والابتسامة تتسع على شفتيه :

- وحينها ستبدأ الحرب العالمية الثالثة .. والأخيرة ..

عند هذه المرحلة لم يحتمل الرئيس الفرنسى ، فأخذ يطلق صرخات كتمتها الكمامة التى تغطى فمه ، لكن (باتريك) أشار له ، قائلاً :

- سأترككم الآن أيها السادة .. لكنى أذككم .. بعد اليوم لن يصبح العالم كما عرفتموه .. فاليوم أيها السادة .. سنعيد كتابة التاريخ ..

أما أنا فكنت قد وصلت إلى حقيقة واضحة لا جدال فيها ..

الهرب من هنا مستحيل تماماً !

إننا فى أكثر وحدة مؤمنة فى مبنى وزارة الدفاع الفرنسى ، وخرجنا من هنا يستلزم جيشاً كاملاً ، لن ينجح إلا فى دفعهم إلى قتلنا بدلاً من السماح بهروبنا ، والأسوأ من هذا كله أنهم ..

- قادمون ..

قلتها والدماء تسيل من أنفى ، ليسأل (أنطون) فى انبهار :

فلم أتمالك نفسى من الرد بسخرية:

- أن نستحم أولاً؟

أما (أنطون) فقال:

- أريد مندوباً من المخابرات ليحضر الاستجواب و ...

لكن الجنرال المقيت تجاهله تماماً، وقال:

- قيديهم جيداً ..

فانقض علينا الجنود بأغلال حديدية، قيدوا بها أيدينا خلف ظهورنا، قبل أن يجرونا وراء الجنرال المقيت عبر أروقة المكان، وقد بدا على السيد (أنور) التوتر الشديد، حتى انتهى بنا المقام فى ساحة خلفية وقفنا فيها صفاً، ليلتفت لنا الجنرال، قائلاً:

- كل ما حدث لفرنسا كان بسببكم ..

فقال السيد (أنور):

- بل كنا نحارب المنظمة طيلة الوقت، لا من أجلكم فحسب،

بل لأجل العالم كله ..

- كيف عرفت؟

فلم أجبه .. قدراتى ليست مزية أتباهى بها، بل هى لعنة أذفع ثمنها حتى الآن ..

أما السيد (أنور) فسأل:

- ما الذى تظنه سيحدث؟

فأجابه (أنطون):

- سيبدعون فى استجوابنا، وحينها سأثبت لهم خيانة المدير وسنعود لمواصلة القتال، لكن المشكلة الحقيقية فى الوقت الذى سيستغرقه هذا كله .. لو كنت مكان المنظمة، لاستغللت هذا كله خير استغلال ..

- هذا ما يخيفنى حقاً .. فهم يتحركون بسرعة لم أر لها مثيلاً

من قبل ..

فى هذه اللحظة فتح باب زنزانتنا ليظهر الجنرال المقيت الذى ألقى القبض علينا ومعه ثلاثة جنود سدّدوا أسلحتهم فى وجوهنا بتحفظ لا داعى له، ليقول الجنرال:

- حان وقتكم ..

- كذب .. لن تخدعنى يا رجل المخابرات المصرية .. أنا أعرف كل شيء عنك وعن جاسوسيتكم (بريدجيت) التى لقت جزاءها على يد المنظمة التى عملتم لحسابها ..

بدت الصدمة على وعلى السيد (أنور) الذى ردد :

- لقت جزاءها !؟

- نعم .. والآن يأتى دوركم أنتم ..

فصاح (أنطون) بغضب :

- لن أنطق بحرف حتى يأتى مندوب المخابرات و ..

قاطعته ضحكة الجنرال الساخرة ، بينما نظرت له أنها بحنق ..

ألم يفهم هذا الأحمق بعد ما نحن فيه ؟

وقال الجنرال فى النهاية بابتسامة مقببة :

- إلا فى حالات الطوارئ القصوى .. فى المعتاد كنا سنستجوبكم ونحاكمكم وكان هذا سيستغرق منا شهوراً أو أسابيع وفقاً لطبيعة الموقف ، لكننا اليوم فى حالة طوارئ قصوى ، وفى هذه الحالة لا استجوابات ولا محاكمات ، بل أحكام فورية تنفذ بلا نقاش ..

ثم أشار للجنود ليوقفونا صفاً ، وليسددوا لنا أسلحتهم ، قبل أن يردف :

- لقد صدر الحكم بإعدامكم الآن ، ولى الشرف أن أكون من ينفذه ..

فقال السيد (أنور) بانفعال :

- هذا ليس من حقك ..

لكن الجنرال المقيت رفع يده فى الهواء ليأخذ الجنود وضع الاستعداد ، وليقول هو :

- وداعاً أيها الخونة ..

وعلى الرغم منى أغلقت عيني بقوة ..

وانتظرت حكم الإعدام ..

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الورقة الأخيرة)

روايات مصر للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

عصر الفرع



د. تامر إبراهيم

مرحبا إيها السادة ..
لدينا سيل من الكوارث التي تحمل
بصمة المنظمة وعشرات الضحايا
الذين يتساقطون بلا انقطاع ، وكم
لا بأس به من المفاجآت ومطاردات
وانفجارات وخونة ، ولدينا مستر
(هايد) .. من هو ؟!
الأفضل أن تقرأ لتعرف ..

المؤسسة

العربية الحديثة

لتدوير ونشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية



الشمس في مصر 300

وما يعادله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم